

دور السيد كاطع العوادي في الإعداد للثورة العراقية ١٩٢٠م

د. جميل موسى النجار حفظه الله^١

المُلخَص

يتناول البحث دور السيد كاطع العوادي في الإعداد للثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠، بوصفه أحد أبرز الشخصيات الوطنية التي أسهمت في مقاومة الاحتلال البريطاني والتمهيد لاندلاع الثورة. ويركّز البحث على نشاطه السياسي والتنظيمي منذ انضمامه إلى حزب النجف السري، ودوره في التواصل مع العلماء وشيوخ العشائر والقوى الوطنية، وتنسيق المواقف المطالبة باستقلال العراق. كما يتناول علاقته بالمرجع الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي، ومهامه في نقل مطالب الحركة الوطنية بين النجف وكربلاء وبغداد، وإسهامه في توحيد جهود القوى الوطنية وتعبئة المجتمع العراقي لمواجهة الاحتلال. ويبرز البحث كذلك مشاركته في الاجتماعات التي سبقت الثورة، وسعيه إلى الجمع بين الوسائل السلمية والمقاومة المسلحة عند تعدّد تحقيق الاستقلال بالوسائل السياسية. ويخلص البحث إلى أنّ السيد كاطع العوادي أدى دورًا محوريًا في التحضير للثورة، من خلال الجمع بين العمل السياسي والتنظيمي والاجتماعي والجهادي، وتعزيز وحدة القوى الوطنية والعشائرية في مواجهة الاستعمار البريطاني.

الكلمات المفتاحية: السيد كاطع العوادي، ثورة العشرين، الاحتلال البريطاني، حزب النجف السري، الاستقلال العراقي^٢.

١. كلية التربية / الجامعة المستنصرية.

٢. هذا النص مقتبس من مجلة الدراسات التاريخية، الصادرة عن بيت الحكمة - بغداد، العدد (٢١)، لسنة ٢٠٠٩م.

تمهيد

سطع نجم السيّد كاطع العوّادي على صعيد العمل الوطنيّ التحرّري العراقيّ من خلال أدوار متعددة أداها في هذا المجال كان أبرزها مشاركته الفاعلة في ثورة عام ١٩٢٠م، ضدّ الاحتلال البريطانيّ للعراق ودوره قبل نشوبها في التحضير لها، وتهيئة وسائل إشعال فتيلها ممّا سنتناوله في هذه الدراسة دون سواه من أدواره الوطنيّة، فضلاً عن مشاركته في الحياة السياسيّة في عهدي الانتداب والاستقلال من خلال موقعه نائباً في مجلس النواب لعدّة دوراتٍ منذ سنة ١٩٢٥م، إلى قبيل وفاته عام ١٩٤٥م.

وكان نجمه قد بدأ بالبروز أواخر العهد العثماني عبر اشتراكه في بواكير الحركة العراقيّة التي كانت تسعى آنذاك بتؤدّة وتوجّسٍ إلى نفذ غبار قرون التسلّط العثمانيّ على العراق. ثم علا ذلك النجم بالدور الجهاديّ الذي اضطلع به السيّد كاطع العوّادي في مقاومة الاحتلال البريطانيّ للعراق إبّان سنوات الحرب العالميّة الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م)، ومحاولته خلال سنوات الجهاد تلك التوصل إلى حلّ سياسيّ، بالتعاون مع آخرين، يؤدّي إلى تحقيق استقلال العراق بعد خروج القوات العثمانية والبريطانيّة منه. وكانت الأدوار المتعدّدة التي قام بها السيّد كاطع العوّادي في ثورة العشرين تتصف في معظمها بكونها أدواراً رائدة تعبّر عن عنفوان صاحبها وتحفّزه وما يحمله من روح وثابة مبادرة.

إذ شملت تلك الأدوار، المشاركة في جبهات القتال، والدعوة إلى الثورة والعمل مع طلائع قادتها الأوائل من زعماء العشائر وعلماء الدين وغيرهم بشأن التخطيط لها، وتحديد موعد انطلاقها، والسعي لتحريض العشائر على المشاركة فيها، والتفاوض مع شيوخ العشائر بهذا الشأن، والتنسيق بما يضمن مشاركتهم جميعاً في الثورة بعد تصفية ما قد يحول دون ذلك من وجهات نظرٍ متخالفةٍ أو متقاطعةٍ لبعض من هؤلاء تجاه بعضهم الآخر.

وقد أهّل ذلك كلّهُ السيّد كاطع العوّادي أن يكون في طليعة زعماء الثورة لما قام به من مهمّاتٍ وواجباتٍ بوّاته مكانةً فريدةً بين هؤلاء الزعماء قلّ من زاحمه عليها. ذلك أنّ بعض أولئك القادة الأبرار قد قام بمهمة التأجيل للثورة، وتحريض الناس على مقاومة المحتلّ البريطانيّ، والخوض في غمار العمل السياسيّ المناوئ للاحتلال والتخطيط لإشعال فتيل الثورة. وكان بعضهم الآخر قادة ميدانيين ومحاربين أشداء تصدّروا جحافل المقاتلين في سوح القتال. أمّا القسم الثالث من أولئك القادة فكانوا مفاوضين أو مبعوثين للتنسيق في الشأن العسكريّ أو السياسيّ.

وربما كان هناك إلى جانب هذه الفئات من أعان بالمال فحسب، أو دعم الثورة من موقعه القياديّ دعماً من نوعٍ آخر. ووجد من بين هؤلاء القادة بالتأكيد من أدّى أكثر من دورٍ من هذه الأدوار، ونشط في أكثر من واحدٍ من جوانب العمل الوطنيّ الجهاديّ الذي توجّ بثورة العشرين. بيد أن السيّد كاطع العوّادي كان، فيما تؤكّده المصادر جامعاً لأوجه هذه النشاطات كافة، ويقف على أرضٍ راسخة تستند إلى ماضيه الوطنيّ المتمثّل في مقارعته للحكم العثمانيّ للعراق، وسعيه مع آخرين من الوطنيّين العراقيّين كالسيّد طالب النقيب ومبدر الفرعون للانتصار للكرامة الوطنيّة العراقيّة، ومحاولة تحقيق كيانٍ سياسيّ مستقلٍّ للعراق، أو شبه مستقلٍّ عن السيطرة المباشرة والمستبدة للدولة العثمانيّة على العراق.

ومن ثَمَّ فإنّ تلك النشاطات المتعدّدة للسيّد كاطع العوّادي التي هيأت الظروف المناسبة لانبثاق الثورة، ومشاركته فيها بعد قيامها بالنفس والمال والعمل الدؤوب المخلص جعلت منه حالةً خاصّةً بين زعماء الثورة، وحدث بأحد الباحثين إلى القول إنّ كان: « في طليعة زعماء الثورة والمخطّطين لها، والمرافقين لحركاتها منذ بدايتها حتى تأسيس الحكم الوطنيّ [كذا] فهو الداعي، والمخطّط والمفاوض، والمقاتل، والسفير»^١.

إنّ عصر التأسيس للدولة العراقيّة المعاصرة الذي عاشه السيّد كاطع العوّادي وأسهم في صناعته يضيف أهميةً على الدراسات التي تتناول بدايات ما اصطلح عليه بالتاريخ (المعاصر) للعراق، سواء أكانت تؤرّخ لمشاهد الماضي السياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ أم للأشخاص الذين أدّوا أدواراً بارزةً في تلك المشاهد. ولا شكّ في أنّ السيّد كاطع العوّادي كان من بين أولئك الذين أسهموا مساهمةً فعّالةً في صنع أحداث الماضي القريب الخاصّة بالجانب السياسيّ والعسكريّ لتاريخ العراق المعاصر، ليس بمشاركته في ثورة العشرين فحسب، بل بالمهمّات الوطنيّة العديدة التي اضطلع بأعبائها قبل تلك الثورة وبعدها.

ومن ثم تغدو دراسة دور السيّد كاطع العوّادي في التحضير للثورة العراقيّة التي انبثقت في الثلاثين من حزيران سنة ١٩٢٠م أمراً تحتاجه حاجةً ماسّةً طموحات التأسيس لتاريخٍ علميّ موضوعيّ للعراق ينأى بنفسه عن الأيديولوجيا الضيقة التي عملت مرتين على تشويه عملية كتابة مثل هذا التاريخ؛ مرّةً حينما كتبته وكتبت تواريخ أخرى غيره منذ عصر الرسالة المحمديّة، ومرّةً أخرى حينما أرادت (إعادة) كتابة ذلك التاريخ على وفق الأساس الأيديولوجيّ نفسه فزادت

١. العوّادي، كاطع، مذكرات السيّد كاطع العوّادي، ص ٥.

ذلك الأساس الواهي وهنّا على وهنه. ويبدو لنا أنّ جوانب كثيرةً من تاريخنا العراقيّ المعاصر، للأسباب هذه ولغيرها أيضاً، ليست أكثر تماسكاً من الدولة العراقية المعاصرة التي لم تصمد أمام تحديات وجوده، وتفكّكت بأسرع ممّا يتطلبه تهديم دارٍ واحدةٍ من وقت. وهذا ما يتطلّب المزيد من الدراسات العلميّة لهذا التاريخ، ويوفّر الأهميّة والضرورة التي تحتاجها دراستنا هذه لتكتسب مشروعية الخوض فيها من وجهة النظر العلميّة. فضلاً عن فقر التاريخ الخاصّ بالسيد كاطع العوادي وحاجته لمن يتصدّى لتحليله ودراسته على أسسٍ بحثيّةٍ قويمّة.

في التمهيد للثورة

لم تتمكن، كما هو معلوم الحركة الوطنيّة العراقيّة من الوصول إلى أهدافها المتمثّلة في الحصول على استقلال العراق وتحقيق كرامة شعبه وسيادته على أرضه، من خلال الجهاد الذي خاضته إلى جانب العثمانيين ضدّ قوّات الاحتلال البريطانيّ التي بدأت بالتوافد على العراق منذ أواخر عام ١٩١٤ م. ولم تسفر الجهود السياسيّة التي بذلها بعض الضباط العراقيين، الذين كانوا يخدمون في صفوف الجيش العثمانيّ في العراق، وبعض الشخصيات المدنيّة البارزة كالسيد كاطع العوادي، آنذاك في التفاوض مع البريطانيّين عن إيجاد حلٍّ سياسيٍّ يؤدّي إلى استقلال العراق وخروج الأجانب منه من عثمانيين وقوّات بريطانيّة.

ولمّا لم تثمر، كما أسلفنا، تلك الجهود كلّها نيل الاستقلال، شرعت الشخصيات الوطنيّة العراقيّة، لا سيّما الدينيّة والعشائريّة والاجتماعيّة منها، بالعمل السريّ السياسيّ المنظم لبلوغ هذه الغاية. وجاء ذلك التحرك بعد أن وضعت الحرب العالميّة الأولى أوزارها، ووقع العراق بأسره في قبضة الاحتلال البريطانيّ. وازداد نشاط ذلك العمل الحركي شيئاً فشيئاً بمعدلٍ يتناسب مع اتجاه المحتلّ للتنصّل من وعوده بمنح الاستقلال للعراق.

ولمّا تكشف النوايا الاستعماريّة البريطانيّة للعراقيين، عاجل العراقيّون أولئك المستعمرين بثورةٍ أقضت مضاجعهم وإن لم تتمكن من إنهاء احتلالهم للبلاد، وكانت سبباً في تغيير السياسة الاستعماريّة البريطانيّة في العراق. وكان السيد كاطع العوادي أحد الشخصيات الوطنيّة البارزة التي عملت آنذاك في مجال العمل السياسيّ السريّ المنظم ضدّ الاحتلال البريطانيّ للعراق، بعد أن كان قد أسهم من قبل إلى جانب المجاهدين العراقيين والقوات العثمانيّة في التصديّ للقوات البريطانيّة الغازية.

وتشير النصوص التاريخية التي بين أيدينا إلى أنّ أول تحرّك موثّق للسيد كاطع العوّادي في هذا المجال كان انضمامه إلى (حزب النجف) السريّ، أو (الحزب النجفيّ) السريّ الذي أسّسه في ٣ تموز سنة (١٩١٨م)^١، بعض علماء الدين وطلبة العلوم الدينيّة المتنورين، وفي طليعتهم: الشيخ عبد الكريم الجزائريّ، والشيخ محمّد رضا الشبيبيّ، والسيد سعيد كمال الدين، والسيد محمّد رضا الصافي، والشيخ محمّد باقر الشبيبيّ، والسيد حسين كمال الدين، والشيخ محمد جواد الجزائريّ، والسيد سعد صالح، والسيد أحمد الصافي النجفيّ، والسيد محمد علي كمال الدين، والسيد يحيى الحبوبيّ، والشيخ محمّد علي الدمشقيّ^٢، وكان يترأسهم الشيخ عبد الكريم الجزائريّ^٣.

وكان الحزب يسعى، في أهدافه، إلى الحصول على استقلال البلاد العربيّة والإسلاميّة كلّها، ولا سيّما العراق، والتضحية من أجل ذلك بكلّ (ما في الوسع من الأموال والنفوس) لتأمين الحصول على الاستقلال الناجز الذيلا تشوبه شائبة مداخلة أجنبيّة تقلل من شأنه^٤. ويبدو أنّ الحزب قد اجتهد منذ تأسيسه لبلوغ هذه الأهداف، وعمل بجِدٍّ وإخلاصٍ للوصول إليها، فكان مصدراً لجميع الأعمال والحركات الوطنيّة منذ تأسيسه قبل انتهاء الحرب العالميّة الأولى في تشرين الأول ١٩١٨م ببضعة أشهر، حتى قيام الثورة العراقيّة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠^٥.

وقد تصاعدت وتيرة مناهضة الحزب للاحتلال البريطانيّ بعد أن بدأ البريطانيّون بالتنصّل عن وعودهم بمنح الاستقلال للبلاد؛ فجعل من أهمّ أهدافه تحرير العراق من الاحتلال البريطانيّ، وتأسيس حكومة مستقلّة فيه؛ ممّا هيّا الأجواء للقيام بثورة عام ١٩٢٠^٦.

وشرع الحزب في الوقت نفسه، لبلوغ هدف التحرير، بالتفاهم مع المرجعيّات الدينيّة، والتوضيح لها بأنّ للعراق حقّ تقرير المصير بموجب بنود الرئيس ولسن^٧، التي قدّمت إلى مؤتمر

١. جمعة، خالد حسن، الوحدة العربيّة في مناهج ومواقف الأحزاب العربيّة ١٩٢١ - ١٩٥٨، ص ٥٤.

٢. العوّادي، كاطع، مذكرات السيد كاطع العوّادي، ص ٣٣. وانظر أيضاً: كمال الدين، محمد علي، النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨، ص ٢٤٤.

٣. كمال الدين، محمد علي، مذكرات السيد محمد علي كمال الدين، ص ٣٠.

٤. راجع: العوّادي، كاطع، مذكرات السيد كاطع العوّادي، ص ٣٣.

٥. كمال الدين، محمد علي، النجف في ربع قرن، ص ٢٤٦.

٦. أنظر: كمال الدين، محمد علي، مذكرات السيد محمد علي كمال الدين، ص ٣١.

٧. كمال الدين، محمد علي، النجف في ربع قرن، ص ٢٤٦.

الصلح الذي افتتح في باريس في ١٨ كانون الثاني ١٩١٩ م، حيث كان البند الثاني عشر منها يؤكد على منح الشعوب التي كانت خاضعةً للسيطرة العثمانيّة حقّ تقرير المصير.

وقد توسّعت نشاطات الحزب وبدأ بنشر الدعوة للحركة الوطنيّة التحررية بعد انضمام عدد من شيوخ عشائر الفرات الأوسط وساداتها إليه، كان من أوائلهم السيّد علوان الياسري والسيّد كاطع العوّادي، فضلاً عن أعلام آخرين من الشيوخ، هم: عبد الواحد الحاج سكر الفرعون، وعلون الحاج سعدون، وغيث الحرجان وشعلان أبو الجون^١.

ويبدو أنّ انضمام السيّد كاطع العوّادي للحزب كان أوائل عام ١٩١٩ م، عندما تعرّف في دار صديقه السيّد إبراهيم الجصّاني في النجف إلى السيّد سعيد كمال الدين أحد أعضاء الحزب^٢، حيث قدّمه السيّد الجصّاني إلى السيّد كمال الدين بقوله: «إنّ هذا السيّد نظيرك في الوطنيّة»^٣، ثم أفضى الحديث بينهما إلى انتماء السيّد كاطع العوّادي للحزب النجفيّ الذي التحق به آنذاك السيّد علوان الياسري، والسيّد نور الياسري، والسيّد محسن أبو طيخ، والشيخ عبد الواحد الحاج سكر. ووجد السيّد كاطع العوّادي بعد اتّصاله بهم أنّ فكرة العمل ضدّ الاحتلال البريطانيّ للحصول على الاستقلال للبلاد متوقّرة لديهم^٤؛ ممّا حفزه على العمل معهم.

ويذكر السيّد محمد علي كمال الدين في مذكراته أنّ الحزب كان له معتمدون في معظم مدن العراق، منهم جعفر أبو التمن في بغداد، والسيّد كاطع العوّادي في عفك والهاشميّة والجزيرة. ومن ثم كانت صلات الحزب ومكتبه في النجف مستمرةً مع معظم أنحاء العراق بوساطة هؤلاء المعتمدين، وبما يجعله على علم بالحركات العسكريّة لجيش الاحتلال البريطانيّ، وأعمال حكّامه السياسيّين والعسكريّين. ويرى كمال الدين في مذكراته أيضاً أنّ شأن الحزب في مجال العمل السياسيّ والعسكريّ قد تطوّر بعدما تخلّى عن العمل السريّ بعد قيام ثورة العشرين، وأصبح حزباً علنيّاً يعرف باسم (الحزب الوطنيّ)، واتّخذ علم الثورة العربيّة الحجازيّة (العلم العربيّ) علماً له رفعه على مقرّات حكومة الثورة في النجف وكربلاء والكوفة والحيرة، ورفعته ثوار النجف السائرون

١. المصدر السابق، ص ٢٤٦.

٢. انظر: العوّادي، كاطع، مذكرات السيّد كاطع العوّادي، ص ١١، ٣٣.

٣. آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ص ٥٥٨.

٤. المصدر السابق، ص ٥٥٨.

إلى جبهة المسيب، وعمّ استعماله من قبل سائر الثائرين في جبهات القتال^١. ويلاحظ من خلال متابعة نشاطات حزب النجف السريّ، وظروف تأسيسه، وانضمام شيوخ العشائر وساداتها إليه وفي مقدّمتهم السيّد كاطع العوّادي، أنّ تلك النشاطات لم تكن بمعزلٍ عن طبيعة الكيان الدينيّ والفكريّ والسياسيّ القياديّ الذي امتلكت النجف زمامه عبر حقّبة متعدّدة من تاريخها. فالنجف كان لها آنذاك دورٌ في الشأن السياسيّ وتطوّراته منذ مطلع القرن العشرين، لم تقتصر تأثيراته على العراق فحسب، بل شملت الدولتين القاجاريّة والعثمانيّة ولا سيّما ما هو معروفٌ من مساهمتها الفاعلة في الحركة الدستوريّة الإيرانيّة ١٩٠٥-١٩١١م، وتفاعلها مع التطوّرات السياسيّة التي شهدتها الدولة العثمانيّة بعد إعلان إعادة العمل بالدستور فيها سنة ١٩٠٨. ولعلّ الموقف السياسيّ لهذه المدينة الساعي لنيل الحريّات السياسيّة، كان يندرج في ضمن الآفاق الفكرية الرحبة التي اتّصفت بها هذه الحاضرة العربيّة الإسلاميّة الكبرى آنذاك، فقد كانت على حدّ قول مؤرّخ العراق الكبير السيّد عبد الرزاق الحسيني: « منذ مطلع القرن العشرين بلد الحرية الفكرية في العراق، ومقصد وفود العلم ورسل الثقافة من أبناء إيران والأفغان والهند والتبت وسواحل الخليج العربي»^٢.

مع أول دعوة للثورة المسلّحة

بدأ نشاط العمل السياسيّ السريّ، الذي أشرنا فيما سبق إلى جوانب منه، يتفاعل مع معطياتٍ مستجدّة أفرزتها ممارسة قوّات الاحتلال البريطانيّ لشؤون الحكم والإدارة في مدن العراق وأريافه، ممّا بلور حالةً من النقمة والسخط على إدارة الاحتلال ولا سيّما بين شيوخ العشائر وساداتها من الذين كانوا يتّخذون من النجف والحركة السياسيّة التي كانت قائمةً فيها آنذاك مرجعاً لهم ومقرّاً لأعمالهم. ومن البديهيّ أنّ تلك الحالة لم تقتصر على النجف ومحيط الفرات الأوسط، بل شملت جميع مناطق العراق، وكانت عاملاً مهمّاً من بين عوامل مهمّة أخرى لثورة العشرين أسهب الباحثون في شأن هذه الثورة في الحديث عنها، بيد أنّ الخوض فيها يخرج عن نطاق دراستنا هذه. على أنّ شعور النقمة لدى أولئك الشيوخ والسادة تحوّل منذ الأشهر الأولى التي تلت استكمال الاحتلال البريطانيّ للعراق إلى دعوة للعمل العسكريّ والثورة المسلّحة ضدّ الوجود الاستعماريّ البريطانيّ في العراق. وكان نواة تلك الدعوة وقطب حلقتها الأولى السيّد علوان الياسريّ، الحلقة التي ضمت اثنين من الدعاة إلى الثورة المسلّحة، واثنين آخرين كانا أوّل من استجاب لهما، أحدهما

١. كمال الدين، محمد علي، مذكرات السيّد محمد علي كمال الدين، من ١٢٠.

٢. الحسيني، عبد الرزاق، الثورة العراقيّة الكبرى، ص ١٦٢.

السيّد كاطع العوّادي. والمتتبع لنواة الدعوة إلى الثورة المسلّحة ضدّ الاحتلال البريطانيّ للعراق، وانتماءات الشخصيات الأربع التي تكوّنت منها يلحظ أمرين:

أولهما: أن تلك الشخصيات كانت تنتمي إلى حزب النجف السريّ، وسبق أن تعرف بعضها على بعضها الآخر في إطار نشاطات الحزب، وتحت سقف النجف التي لم تعد مرجعيّتها لتلك الشخصيات مرجعيّة دينيّة وروحيّة فحسب. أمّا الأمر الثاني فهو أنّ ثلاثاً من تلك الشخصيات الأربع كانوا من السادة العلويّين. ويبدو أنّ ذلك قد منح الدّعوة إلى الثورة المسلّحة زخماً قوياً مكنها من الوصول إلى هدفها في تأجيج الثورة، ذلك أنّ أولئك السادة كانوا يتمتعون بكلمة مسموعة في أوساط عشائر الفرات الأوسط لما لهم من مكانة اجتماعيّة رفيعة لدى أبناء هذه العشائر^١. وهذا يعني أنّ هذه الفئة كانت قادرة على تحشيد المجتمع العشائريّ ودفعه لرفع السلاح بوجه المحتلّ. ومن ثم نرى «عند قيام الثورة أنّ السادة كان لهم دورٌ فعّالٌ فيها، وقد اشترك فيها عددٌ كبيرٌ منهم^٢...»، إذ «كان السادة بشكلٍ عامٍّ ذوي نزعة جهاديّة... وقد مارسوا ضغطاً قوياً على عشائر الشاميّة والنجف^٣». ويلحظ ذلك كلّ بشكلٍ واضحٍ في سيرة عددٍ من شخصيات السادة كان في طليعتهم السيّد كاطع العوّادي والسيّد علوان الياسريّ، فالسيّد علوان الياسري كان - كما أسلفنا - قطب الحلقة الأولى التي دعت إلى الثورة المسلّحة ضدّ الاحتلال البريطانيّ للعراق.

ومن الجدير ذكره هنا أنّ فكرة الثورة المسلّحة ضدّ الاحتلال كانت بعيدةً آنذاك عن أذهان رجال الحركة الوطنيّة في بغداد وكربلاء، وأنّ تبلورها كان في منطقة الفرات الأوسط، وعلى يد السيّد علوان الياسري الذي كان أوّل من نادى بها بعد أن رأى الحاكم العسكريّ لأبي صخير (الكابتن لايل) يعرّض رجلاً من وجوه الناس إلى الإهانة ويطرده من أمامه، فتأثر الياسريّ من هذا الموقف الذي جرى أمامه تأثراً بالغاً. وبعد أن خرج من الحاكم العسكريّ البريطانيّ التقى بالسيّد محمد رضا الصافي الذي كان قادماً من النجف إلى أبي صخير لشأن من شؤونهم، فحدثه بالأمر صاباً جام غضبه على الاحتلال وحكامه. وأفضى حديثهما الطويل إلى الاتّفاق على ضرورة العمل للتخلّص من الاحتلال. بيد أنّ التوصل إلى طريقة للخلاص من كابوس الاحتلال والحصول على الحرية تقتضي التباحث مع أناسٍ آخرين؛ لذلك اتّفقا على أن يلتقيا ثانية في النجف لتحقيق الهدف

١. الوردي، علي، لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث، ج ٥، ق ١، ص ١٢٣.

٢. المصدر السابق، ص ١٢٤.

٣. نظمي، وميض جمال عمر، ثورة ١٩٢٠ الجذور السياسيّة والفكريّة والاجتماعيّة للحركة القوميّة العربيّة (الاستقلاليّة) في العراق، ص ٣٧٩.

المنشود^١. ويرجح الدكتور علي الوردي أنّ هذا اللقاء حدث في ربيع سنة ١٩١٩م، وأنّ الياسري بدأ منذ ذلك الحين يبيّث الدعوة للثورة المسلّحة ضدّ الاحتلال البريطانيّ بين شيوخ العشائر، وأخذت دعوته تنمو بمرور الأيام؛ لأنّه كان يمتلك مقدرةً فائقةً على إقناع الآخرين^٢.

وكان السيّد كاطع العوّادي، وشعلان الجبر شيخ آل إبراهيم، أوّل من انضمّا إلى دعوة السيّد علوان الياسريّ، ذلك أنّ السيّد كاطع العوّادي كانت تجمعه روابط سابقةً مع السيّد علوان الياسريّ إذ سبق وأشرنا إلى انصوائهما معا تحت لواء العمل الوطنيّ الذي استظلّ بالنجف وحزبها السري، فضلاً عن أنّ السيّد كاطع كان على استعدادٍ للخوض في غمار أيّ عملٍ جهاديّ ينقذ العراق من براثن الاحتلال البريطانيّ، وهو عملٌ سبق أن قام به مع المجاهدين العراقيّين والقوات العثمانيّة في أثناء سنوات الحرب العالميّة الأولى حتى آخر مرحلةٍ من مراحلها^٣.

انطلاقة العمل

كان انتماء السيّد كاطع العوّادي إلى حزب النجف، وانضمامه إلى الدعوة لتأجيج ثورةٍ مسلّحةٍ بوجه الاحتلال البريطانيّ للعراق، التي دعا إليها لأوّل مرّةٍ اثنان من العاملين مع هذا الحزب هما: السيّد علوان الياسريّ، والسيّد محمد رضا الصافي، القاعدة التي انطلق منها السيّد كاطع للعمل بدأبٍ وجدّد لبلوغ الغاية السامية التي آمن بها إيماناً مستمداً من الإيمان بالإسلام الحنيف الذي يدعو إلى دفع الغزاة عن ديار المسلمين وقتالهم.

وكانت دوافع السيّد كاطع العوّادي في تحرّكاته الدؤوبة التي أدّت مع جهود الوطنيّين الآخرين، إلى قيام الثورة بوجه المحتلّ يبدو فيها جانب الإيمان بمبادئ الدين وفروضة وأحكامه واضحاً لاسيّما للمطلع على سيرته وتاريخه. فهو في ذلك الوقت، الذي استقرّ رأيه فيه على ضرورة القيام بثورةٍ مسلّحةٍ لنيل استقلال البلاد وحرية أبنائها، كان عازماً على أداء فريضة الحجّ، ولكنّه أدرك أنّ دفع الغزاة المحتلّين عن وطنه قد يكون مقدّماً على أداء تلك الفريضة، فسافر إلى الشيخ محمّد تقي الحائريّ في كربلاء واستفتاه في أن ينفق مصاريف الحجّ على «القضية العراقيّة، فأفتى له وعدل عن السفر»^٤.

١. فراتي، علي، على هامش الثورة العراقيّة الكبرى، ص ١٠١ - ١٠٢.

٢. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٥، ق ١، ص ١٢٦.

٣. فراتي، علي، على هامش الثورة العراقيّة الكبرى، ص ١٠٢ - ١٠٣.

٤. العوّادي، كاطع، مذكرات السيّد كاطع العوّادي، ص ١٢.

وكان السيّد كاطع العوّادي يسكن آنذاك في البغيلة (النعمانيّة)، إلّا أنّه كان يتردّد كثيرًا على النجف وكربلاء خاصّةً بعد أن قرّر خوض غمار العمل الوطنيّ التحرّري بكلّ جهوده. ويبدو أنّ اتّصال السيّد كاطع العوّادي مع الشيخ الحائريّ في كربلاء وابنه الشيخ محمد رضا كان أقدم زمنًا من تاريخ الفتوى الشرعيّة بشأن الحجّ، ذلك أنّ السيّد كاطع يقرّر في مذكراته، التي كتبها محمد علي كمال الدين بإملاءٍ منه، أنّ حزب النجف كانت له اتصالاتٌ مبكّرةٌ مع محمد رضا ووالده الحائريّ، وأنّه كان محور هذه الاتصالات.

ومن ثمّ فإنّ سفره إلى كربلاء ولقائه بالحائري لم يقتصر على موضوع الحجّ فحسب، بل إنّ السيّد كاطع كان موفدًا إليه، فيما يبدو، من قبل حزب النجف وذلك لتحقيق عدّة أمور أهمّها:

١. أخذ موافقته على فتح مدرسة أهليّة في النجف كي تكون، كما نعتقد، مقرًّا سرّيًّا للحزب ونشاطاته على غرار المدرسة الأهليّة (التفويض) التي أسّسها علي البازركان في بغداد. وقد بوشر بالعمل فيها ولكن العمل لم يستكمل لكثرة الأعمال^١ على حدّ قول السيّد كاطع. وهذه الأعمال الكثيرة كانت بطبيعة الحال، تتعلّق بالتحضير للثورة والإعداد لها.

٢. مفاتحة الشيخ الحائريّ بشأن إيجاد حركةٍ ثوريّةٍ ضدّ حكومة الاحتلال^٢.

ولعلّ اختيار السيّد كاطع العوّادي للقيام بهذه المهمّة كان بسبب العلاقة القويّة التي تربطه بالحائريّ^٣. وفي اعتقادنا فإنّ مفاتحة السيّد كاطع العوّادي للمرجع الأعلى الشيخ الحائري بالاستعداد للثورة بوجه المحتلّ كان عملاً رائدًا ربما سبق إليه حزب النجف وموفده السيّد العوّادي بقية الشخصيّات الوطنيّة التي أعدت للثورة وقامت بها. وقد توسّعت نشاطات السيّد كاطع العوّادي الوطنيّة منذ مطلع عام ١٩١٩، فاشترك مع عددٍ من الشيوخ والرؤساء، الذين انطلقت حركتهم أوّل الأمر من النجف كالعوّادي نفسه، في تفعيل نشاط الحركة الوطنيّة التي كانت قائمةً في بغداد والكاظميّة، فاختاروا السيّد أبا القاسم الكاشاني، أحد علماء الدين، للقيام بهذه المهمّة واعتمدوه مبعوثًا من قبلهم في مطالب العراق والأمور الحقوقيّة المتعلّقة بأهله احتجاجًا لهم ومدافعةً عنهم وغير ذلك ممّا يوجب إصلاح العراق ورفي العرب العراقيين مادّيًا وأدبيًا^٤، كما جاء في نصّ كتاب

١. المصدر السابق، ص ١٢.

٢. آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ص ٥٥٨.

٣. المصدر السابق، ص ٥٥٨.

٤. المصدر السابق، ص ١٣٩-١٤٠.

الاعتماد الذي وقّعه وختمه بختمه الخاص السيد نور الياسري والسيد كاطع العوادي والسيد علوان الياسري وعبد الواحد الحاج سكر، وعدد من شيوخ العشائر. وأيد ما ورد في الكتاب من مطالب وصدق اعتماد المعتمدين للسيد الكاشاني شيخ الشريعة الأصفهاني أحد كبار مراجع النجف الذي خلف الحائري في قيادة ثورة العشرين.

وقد نشط السيد أبو القاسم الكاشاني في العمل ضد سلطة الاحتلال من خلال وسائل عدة منها منشورات التحريض السرية على هذه السلطة التي كان يقوم بطبعها وتوزيعها بامضاء جمعية وهمية لا وجود لها اسمها (الجمعية العربية الإسلامية)^١. ويبدو أن وجود السيد الكاشاني في الكاظمية وجهوده على مدى ما يقرب من سنة ونصف في مقارعة سلطة الاحتلال البريطاني أكسبه ثقة العاملين بالحركة الوطنية في بغداد، فاعتمدوا عليه في تحركاتهم ومطالباتهم لسلطة الاحتلال البريطاني بحقوق العراق والعراقيين بالاستقلال والحرية، ومن ذلك انتخابهم له ضمن مندوبي بغداد الخمسة عشر الذين قابلوا نائب الحاكم الملكي البريطاني في العراق آرنولد ولسن في الثاني من حزيران ١٩٢٠ م لهذا الغرض.

إن نشاط السيد كاطع العوادي، الذي أشرنا إلى توسّعه منذ مطلع عام ١٩١٩ م، كان له ارتباط بتطور اتصالاته بالشيخ محمد تقي الحائري وعلاقته الوثيقة معه ولاسيما بعد أن أصبح الحائري المرجع الأعلى بعد وفاة السيد محمد كاظم اليزدي في ٣٠ نيسان ١٩١٩ م، وتجاوبه مع العاملين بالحركة الوطنية التحررية ودعمه لهم، بدايةً من فتواه الشهيرة (ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإدارة والسلطنة على المسلمين) التي أصدرها في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٩ م، بمناسبة الاستفتاء الذي أراد منه (ولسن) أن يكون العراق تحت الحكم البريطاني المباشر، إلى يوم وفاته في خضم أحداث الثورة. ويبدو أن السيد كاطع العوادي قد حظي بمنزلة خاصة لدى المرجع الأعلى الشيخ محمد تقي الحائري وابنه الشيخ محمد رضا الذي عرف بنشاطه وحماسه للقضية العراقية، ذلك أن الدلائل كلّها تشير إلى ثقة المرجع الأعلى به، واعتماده عليه في أداء العديد من الأعمال والمهمات الخاصة التي مهدت لاندلاع ثورة العشرين وخلال أيام الثورة أيضاً كما سيتبين لنا^٢.

١. للاطلاع على أسماء الموقعين على اعتماد السيد الكاشاني، وللتفاصيل الأخرى يراجع المصدر السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.

٢. يرى الدكتور الورد، علي أن الشيخ الحائري أصدر هذه الفتوى لتأييد الجمعية السرية التي أسسها نجله الشيخ محمد رضا باسم (الجمعية الإسلامية)، وانتمى إليها عددٌ من رؤساء كربلاء وكان هدفها رفض الحكم البريطاني وتنصيب ملك مسلم على العراق بعد نيل استقلاله، ويقول: كان إصدار الفتوى بتاريخ ٢٠ ربيع الثاني ١٣٣٧ هـ / ٢٣ كانون الثاني ١٩١٩ م، أي بعد انتهاء الاستفتاء، ويخطئ الورد من يقول بأن الفتوى صدرت بمناسبة الاستفتاء. يُراجع:

كما شهد عام ١٩١٩م اتّصال السيّد كاطع العوّادي الوثيق بالحركة الوطنيّة في بغداد، وانتمائه إلى حزب حرس الاستقلال، ليكون مع ثلّة من زعماء وشيوخ العشائر، كالسيّد هادي زوين ومرزوق العواد والسيّد عبد المهدي المتفكي حلقة الوصل بين الحرس وشيوخ العشائر^١. ويقول علي الباركان: «إنّ السيّد كاطع العوّادي بعد أن زار بغداد يوم السبت ٢٤ حزيران ١٩١٩م، وانتسب إلى حزب حرس الاستقلال، أخذ منذ ذلك الحين يتردّد على بغداد كثيراً»^٢، ذلك أنّه «علم أنّ حزب حرس الاستقلال قد تبنّى القضية العربيّة في العراق وأنّ نشاط البغداديين يدور حوله فهو الذي يقيم التظاهرات ويعقد الاجتماعات والانتخابات الشعبيّة، ويعد الخطب والقصائد والكلمات، ويرسل الاحتجاجات إلى السلطة الحاكمة وإلى القنصليّات الأجنبيّة... وقد كان الوساطة بيننا وبين عشائر الحلة وعشائر النجف وكربلاء»^٣.

وقد استمرّ السيّد كاطع العوّادي في اتّصالاته مع حزب حرس الاستقلال بعد قيام الحزب بتأسيس (المدرسة الأهليّة) لتكون، فضلاً عن مهمّتها التربيّة والعلميّة، مركزاً لنشاطات الحزب ومقرّاً لاجتماعات أعضائه. وقد فتحت المدرسة في منتصف شهر أيلول ١٩١٩م. وزارها السيّد كاطع العوّادي مراراً للاتّصال مع جماعة حرس الاستقلال، وتبرّع لها في إحدى زيارته بخمسين ليرة ذهب^٤.

المصدر السابق، ج ٥، ق ١، ص ١٠٩.

إنّ ما ذكره المرحوم الوردي صحيح؛ فقد جرى الاستفتاء في بغداد الذي جاء في آخر السلسلة من عمليات الاستفتاء في عدد من المدن العراقيّة المهمّة، بتاريخ ١٩ ربيع الثاني ١٣٣٧هـ/ ٢٢ كانون الثاني ١٩١٩، أي قبل يوم واحد من صدور الفتوى. بيد أنّ الفتوى لم تكن موجّهة لعمليات الاستفتاء تلك التي طالب معظمها بتولي أحد أنجال الشريف حسين حكم العراق، بل كانت موجّهة إلى روح الاستفتاء بمجمله وضمن نطاق عملياته التي شملت مجاميع أخرى كانت تحركها أيادي المحتلّ لكي تطلب بقاء حكمه. كما أنّها جاءت ضمن إرساء المرجعيّة لقاعدة مهمة ليبنّي عليها حكم العراق مستقبلاً، فضلاً عن أهميّة إصدارها آنذاك في تطوير الوعي السياسي للعراقيين وإذكاء حماسهم ضد الوجود الاستعماري البريطاني في العراق.

١. نظمي، وميض جمال عمر، ثورة ١٩٢٠.. الجذور السياسيّة والفكريّة والاجتماعيّة للحركة القوميّة العربيّة (الاستقلاليّة) في العراق، ص ٣٢٤.

٢. آل بازركان، علي، الوقائع الحقيقيّة في الثورة العراقيّة، ص ١٠٧.

٣. المصدر السابق، ص ١٦٩.

٤. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقيّة الكبرى، ص ١٠٤.

٥. العوّادي، كاطع، مذكرات السيّد كاطع العوّادي، ص ١٣؛ آل بازركان، علي، الوقائع الحقيقيّة في الثورة العراقيّة، ص ٢٣٣، ١٩٤.

وكان في بعض زيارته تلك مبعوثاً من قبل الشيخ الحائري للتنسيق مع رجال الحركة الوطنية في بغداد، وكممثل للعشائر لديه كما سيّضح لنا ذلك. وشملت جهود السيّد كاطع العوّادي الوطنيّة خلال عام ١٩١٩ اشتراكه مع الوطنيّين العراقيّين في إيصال صوتهم المطالب بالاستقلال إلى خارج حدود العراق، لاسيّما بعد أن امتنع الحكام السياسيّون البريطانيّون في المدن العراقيّة عن تسلّم الأجوبة على أسئلة الاستفتاء الذي شرعت بإجرائه السلطة المحتلة أوائل عام ١٩١٩؛ لأنّ الغالبية العظمى من تلك الأجوبة كانت ضدّ الوصاية البريطانيّة على البلاد، وتطالب برئيس عربيّ مسلم لها. ولمّا لم تفعل تلك الأجوبة المطالبة بالاستقلال فعلها، ولم يرتب عليها المحتلّون شيئاً ذا قيمة، رأى العاملون في الحركة الوطنيّة العراقيّة في الفرات أن يتّجهوا إلى خارج العراق للتعريف بقضيتهم خاصّةً في الحجاز وسورية^١.

ولتحقيق هذا الغرض، عقدوا اجتماعاً في دار السيّد علوان الياسري في النجف حوالي منتصف عام ١٩١٩م، حضره حشدٌ كبيرٌ من علماء الدين والتجّار النجفيّين، وشيوخ عشائر الفرات ووجهاء مدنه وساداته ومنهم السيّد كاطع العوّادي وبعض المثقّفين الشباب^٢. وتقرّر في هذا الاجتماع إيفاد الشيخ محمد رضا الشبيبيّ إلى الحجاز وسوريا، فكتبوا له كتباً ووقعوا عليها جميعهم، ذكروا فيها أنّهم انتدبوه لغرض توضيح ما يجري في العراق، ولاسيّما عمليات الاستفتاء التي طالب من خلالها العراقيّون اختيار أحد أنجال الشريف حسين شريف مكّة ليكون ملكاً للعراق على رأس حكومة دستوريّة مستقلّة استقلالاً تامّاً لا تشوبه الحماية ولا ينتقصه الانتداب، «وصرحوا في كتبهم إلى الحسين بأنّهم مستعدّون لتضحية النفس والنفس في سبيل تحقيق هذه الغايات إذا لم تدعن السلطة البريطانيّة لمطالب العراقيّين»^٣. وقد غادر الشبيبيّ البصرة متّجهاً إلى الحجاز في ٣٠ تموز ١٩١٩^٤.

ويبدو أنّ للمرّجع الأعلى الشيخ محمد تقي الحائري نصيباً كبيراً في فكرة عقد الاجتماع وإرسال مبعوثٍ إلى خارج العراق، وكذلك في اختيار الشيخ محمد رضا الشبيبيّ لهذه المهمّة^٥. وكانت هناك رسالة خاصّة موجهةً منه إلى الملك فيصل بن الحسين حملها الشبيبيّ معه، تضمّنت اعتماده

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقيّة الكبرى، ص ١٥٤.

٢. للاطلاع على أسماء المشاركين يراجع كامل سلمان سلمان كامل الجبوري، النجف الأشرف والثورة العراقيّة الكبرى ١٩٢٠، ص ٤٢.

٣. المصدر السابق، ص ٤١.

٤. المصدر السابق، ص ٤٣.

٥. أنظر: آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ص ٩١.

للشيخ الشبيبيّ ليطلعه «على الأعمال القاسية الجارية في العراق ويكشف ... عن المظالم التي ما زالت تستعملها حكومة الاحتلال». وطلب منه في هذه الرسالة أن يُعرّف الصحافة الحرّة في كلّ أنحاء العالم، وحكومات أوروبا وأمريكا بهذه الأعمال والمظالم^١. كما أنّ الشبيبيّ قد حمل رسالة إلى الشريف حسين من الشيخ الحائري. وقد رد الشريف حسين على رسالته بتاريخ ٢٤ ذي الحجة ١٣٢٧ هـ^٢، الذي يوافق ٢٠ أيلول ١٩١٩ م.

خطى حثيثة نحو الثورة

شهد النصف الأول من عام ١٩٢٠ م، تحرّكاتٍ مكثّفةً لقادة الحركة الوطنيّة العراقيّة، وفي طليعتهم السيّد كاطع العوّادي، من أجل الحصول على حقوق العراق والعراقيين في الاستقلال والحرية، والتخلّص من قيود الاحتلال البريطانيّ. وتمثّلت تلك التحركات بالاجتماعات السريّة خاصّة، التي كان يعقدها باستمرار منذ مطلع سنة ١٩٢٠ م، عددٌ من علماء الدين والوجهاء وشيوخ العشائر وبعض المثقّفين لمناقشة سياسة السلطنة المحتلّة، والتعاهد على نشر الدعوات على نطاق واسع ولاسيّما بين رؤساء العشائر، على نبذ الخصومات وتوحيد الكلمة والاستعداد لمجابهة سلطة الاحتلال بكلّ الوسائل المتاحة. وقد عهد في بعض تلك الاجتماعات إلى بعض كبار خطباء المنبر الحسينيّ، كالشيخ محمد علي قسام والشيخ باقر الحليّ والشيخ محسن أبو الحبّ، للقيام بهذه المهمّة^٣.

وقد أسهم السيّد كاطع العوّادي في نيسان ١٩٢٠ م، في توسيع فكرة الثورة المسلّحة بوجه الاحتلال البريطانيّ التي اتّفق عليها لأوّل مرّة وتعهدها، كما ذكرنا من قبل، أربعة رجال كان رائدهم السيّد علوان الياسري ومن بينهم السيّد كاطع العوّادي، وذلك من خلال الدعوة لها في اجتماعٍ موسّع في النجف حضره عددٌ من علماء الدين ورؤساء العشائر. وكان الداعي إلى هذا الاجتماع رائد الدعوة إلى الثورة المسلّحة السيّد علوان الياسري. إذ انتهز الياسري فرصة حضور كثير من أولئك العلماء والرؤساء، ومن بينهم الشيخ محمد رضا الحائري نجل المرجع الأعلى الشيخ محمد تقي الحائري، إلى النجف الزيارة (المبعث النبوي) التي تجري يوم السابع والعشرين من رجب من كلّ عام، والذي وافق في تلك السنة يوم ١٦ نيسان ١٩٢٠، فدعاهم إلى الاجتماع في داره. وقد عقد الاجتماع سرّاً في الليل، وطرحت فيه فكرة القيام بالثورة المسلّحة، فعارضها بعض الحاضرين

١. المصدر السابق، ص ٩٢.

٢. للاطلاع على نص رسالة الشريف حسين يُنظر: الجبوري، النجف الأشرف والثورة العراقية، ص ١٦٢.

٣. الحسّني، عبد الرزاق، الثورة العراقيّة الكبرى، ص ١٦٢.

ومنهم الشيخ خيون العبيد الذي كان يرى أنّ وقت الثورة لم يحن بعد؛ لتفرّق العراقيين، وعدم اجتماع كلمتهم، وكثرة النزاعات والحزازات بينهم ولا سيّما في الوسط العشائري. «وكانت تلك أول مرة تُطرح فيها مثل هذه الفكرة على جمعٍ من رجال الدين ورؤساء العشائر»^١.

ومع تلك المعارضة، فإنّ قوّة التيار الدافع باتجاه إشعال ثورةٍ مسلّحةٍ بوجه الاحتلال لم تفتّر، بل على العكس فإنّ النجف شهدت بعد أيامٍ قلائل مرّت على عقد ذلك الاجتماع، انعقاد اجتماعٍ آخر أعطى لذلك التيار زخمًا كبيرًا باتجاه قيام الثورة. وكان السيّد كاطع العوادي أبرز الذين اشتركوا في هذا الاجتماع الذي عقد في الأول من شعبان سنة ١٣٣٨ هـ - ٢٠ نيسان ١٩٢٠ م، والذي يصفه الدكتور وميض نظمي بأنّه «اجتماعٌ واسعٌ جدًّا ... كان يضمّ بحر العلوم والجزائريّ، والجواهريّ (من المجتهدين)، والعوادي وعبد الواحد الحاج سكر، ومحمد عبطان، وعلوان الحاج سعدون، والعواد، وشعلان أبو الجون، وسلمان الظاهر، ولفته شمخي، ووداي العطية، ومجبل الفرعون، (من شيوخ العشائر) والسيّد نور الياسري، والمكوطر، وزوين، وأبو طبيخ، وعلوان الياسري من السادة، وشلاش (من النجف)»^٢ الذين دعاهم نظمي بـ (زعماء الفرات). وقد تقرّر في هذا الاجتماع أن يقوم السيّد هادي زوين والحاج عبد المحسن شلاش بالسفر إلى بغداد للتداول بشأن الأوضاع السياسيّة مع العاملين بالحركة الوطنيّة فيها. وقد تحقّق ذلك من خلال الاجتماع الذي عقد يوم ٢٢ نيسان ١٩٢٠ م في بغداد وحضره مندوبا النجف، وعددٌ كبيرٌ من الشخصيّات البغداديّة والقاطنة في بغداد، «وقد وافق المجتمعون على تنسيق جهودهم وتشديد فعاليتهم. وقرّر وطنيّو بغداد إرسال أبو التمن لدراسة الوضع على الفرات. ووصل الأخير في اليوم الأوّل من آيار ... وعقد اجتماعًا مع زعماء الفرات المذكورين، وآخرين بضمنهم شعلان أبو الجون وغيث الحرجان»^٣، وكان من بين زعماء الفرات أولئك السيّد كاطع العوادي.

ويبدو أنّ قادة الحركة الوطنيّة كانوا، خاصّةً منذ نيسان ١٩٢٠ يتحينون الفرص التي تتيح لهم عقد الاجتماعات للتداول في الأوضاع السياسيّة للبلاد، وكيفيّة استخلاص حقوقها في الاستقلال وإنهاء الاحتلال. وقد أتاحت لهم الزيارة السنويّة للإمام الحسين (عليه السلام) في النصف من شعبان هذه

١. الوردي، علي، لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث ج ٥، ق ١، ص ١٣٣-١٣٥.

٢. نظمي، وميض جمال عمر، ثورة ١٩٢٠.. الجذور السياسيّة والفكريّة والاجتماعيّة للحركة القوميّة العربيّة (الاستقلاليّة) في العراق، ص ٣٧٤.

٣. المصدر السابق، ويُنظر أيضًا: آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ص ١٠٢-١٠١.

الفرصة. فعقد عددٌ كبيرٌ منهم، ممّن حضر لتأدية هذه الزيارة، عدّة اجتماعات في كربلاء كانت من أهمّ الاجتماعات في تاريخ الثورة العراقيّة الكبرى؛ لأنّها تمخّضت عن (ضوء أخضر) منحه المرجع الأعلى الشيخ محمد تقى الحائري لهم بالقيام بالثورة. وقد تميّزت اجتماعات زيارة النصف من شعبان في كربلاء باشتراك الحاج جعفر أبي التمن فيها مندوباً عن الحركة الوطنيّة في بغداد، بعد التنسيق الذي جرى بين رجال هذه الحركة في الفرات ورجالها في بغداد عقب الاجتماع الذي أشرنا عقده في ٢٢ نيسان ١٩٢٠م، وحضره مندوباً زعماء الفرات السيّد هادي زوين والحاج عبد المحسن شلاش.

استغرقت اجتماعات زيارة النصف من شعبان، التي شارك فيها السيّد كاطع العوّادي، ثلاثة أيامٍ بلياليها. وكان أهمّها ثلاثة اجتماعاتٍ كبيرةٍ عقد أحدها مع الشيخ الحائري، وانتهت تلك الاجتماعات بعودة زعماء الفرات إلى النجف صباح يوم ١٦ شعبان ١٣٣٨ هـ، الموافق، مايس ١٩٢٠م^١. وقد عقد الاجتماع الأول في دار السيّد أبي القاسم الكاشاني القريب من باب الصحن الحسينيّ الشريف المعروف بباب السدرة. وكان اجتماعاً سرّياً حضره شيوخ العشائر، وعلماء النجف وكربلاء ووجهاءها^٢، فضلاً عن الحاج جعفر أبي التمن. وقد طرح المجتمعون خلال اجتماعهم موضوع القيام بثورةٍ مسلّحةٍ ضدّ الاحتلال البريطانيّ، ولكنّهم لم يتفقوا على ذلك، حيث رأى بعضهم أنّ الثورة المسلّحة لا تؤدّي إلى تحقيق الأهداف المتوخّاة منها في ذلك الحين؛ لأنّ قوّة الاحتلال قادرةٌ على قمعها بيسر. واتفقت كلمتهم في نهاية الاجتماع على أخذ رأي الشيخ محمد تقى الحائريّ في الموضوع، واختاروا خمسةً من المجتمعين لمقابلته لهذا الغرض أحدهم مندوب بغداد جعفر أبو التمن والآخرين هم: الشيخ عبد الكريم الجزائريّ، والسيّد نور الياسريّ، والسيّد علوان الياسريّ، وعبد الواحد الحاج سكر.

وممّا هو جديرٌ بالذكر أنّ السيّد كاطع العوّادي كان بطبيعة الحال، من بين الداعين في هذا الاجتماع إلى الثورة المسلّحة. وموقفه هذا، كما هو واضح، امتدادٌ لإيمانه بضرورة القيام بثورةٍ مسلّحةٍ لانتزاع استقلال العراق، والذي كان يعبر عنه من خلال مواقفه وأعماله السابقة، ومنها انضمامه في ربيع عام ١٩١٩ لأوّل دعوةٍ للقيام بثورةٍ مسلّحةٍ ضد المحتلّ دعا إليها السيّد علوان

١. كان يوم ١٥ شعبان ١٣٣٨ هـ، الموافق ليوم ١ مايس ١٩٢٠. ومعلوم أنّ وقت الزيارة هو ليلة الخامس عشر من شعبان، أي مساء يوم ٣ مايس ١٩٢٠م.

٢. للاطلاع على أسمائهم يراجع: الوردي، علي، لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث، ج ٥، ق ١، ص ١٣٦-١٣٧؛ آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة سنة ١٩٢٠ ونائجها، ص ١٠٣.

الياسري، ومن خلال نشاطه الذي أعقب زيارة النصف من شعبان والذي كان له أثر كبير في اندلاع ثورة العشرين. ومن ثم يبدو لنا أنّ حماساً للقيام بثورة مسلّحة قد ميّز حضور السيّد كاطع العوّادي هذا الاجتماع، وحال دون اختياره المقابلة الحائريّ مع من قابله لبحث أمر الثورة المسلّحة معه على الرغم من العلاقات الوثيقة التي كانت تربطه بالمرجع الأعلى ونجده الشيخ محمد رضا.

وبعد مقابلة المندوبين الخمسة للشيخ محمد تقي الحائريّ، التي جرت ليلة الخامس عشر من شعبان التي توافقت مساء يوم ٣ مايس ١٩٢٠^١، وبحث موضوع مستقبل البلاد معه وتعريفه بعزمهم على استخلاص حقوق العراق والعراقيين من المحتلّ الأجنبيّ، أبدى الحائريّ تأييده لهم، ولكنّه حثّهم على اتباع الطرق السلمية لاستخلاص تلك الحقوق. فأبدوا امتثالهم لهذا الأمر الذي قالوا إنّّه من حركتهم في الصميم، بيد أنّهم أبلغوه أنّهم قد يضطرونّ إلى القيام بثورة مسلّحة لتحقيق أهدافهم، فلم يوافقهم على ذلك؛ لأنّ «الإنكليز أقوياء، وأرواح العراقيين غالية، والقانون والنظام مهمان»^٢. فأكدوا له أنّهم قادرون على مواجهة المحتلّ، والمحافظة على النظام. وإزاء هذا التأكيد قال لهم: إذا كانت هذه نواياكم، وهذه تعهداتكم، فالله في عونكم. وبعد انتهاء الاجتماع قال الشيخ محمد رضا الحائريّ للمندوبين الخمسة عند خروجهم إنّ كلام والده معناه «إفتاء بالثورة على الإنكليز»^٣. ولعلّ رأي الشيخ محمد رضا هذا كان دافعاً للزملاء الذين ركّزوا جهودهم على قيام الثورة، لمواصلة نشاطاتهم، وفي مقدّمة هؤلاء السيّد علوان الياسريّ والسيّد كاطع العوّادي.

وفي الليلة التي تلت الاجتماع مع المرجع الأعلى الشيخ الحائري، التي وافقت مساء يوم ٤ مايس ١٩٢٠م، عُقد اجتماعٌ موسّعٌ في دار السيّد نور الياسري الواقعة في محلة (السلالمة)، حضره الذين شاركوا في الاجتماع الأوّل. وقد اتفق المشاركون في هذا الاجتماع على أن يستمروا في جهودهم السلميّة مع سلطات الاحتلال للحصول على استقلال البلاد وحقوق شعبها. وفي حال عدم استجابة السلطات المحتلة لمطالبهم، فإنّهم سيسعون وعشائهم للقيام بثورة مسلّحة لتحقيق الاستقلال. وقد تعاهدوا بعد ذلك عند ضريح الإمام الحسين (عليه السلام) على تحقيق ما اتفقوا عليه وأقسموا بالقرآن الكريم على تعهداتهم^٤.

١. حدّدنا هذا التاريخ استناداً إلى دلالة وردت في: كامل سلمان كامل الجبوري، النجف الأشرف والثورة العراقيّة، ص ٥١.

٢. نظمي، وميض جمال عمر، ثورة ١٩٢٠. الجذور السياسيّة والفكرية والاجتماعيّة للحركة القوميّة العربيّة (الاستقلاليّة) في العراق، ص ٣٧٤.

٣. الأسدي، حسن، ثورة النجف على الإنكليز أو الشرارة الأولى الثورة العشرين، ص ٣٨٢.

٤. الوهاب، عبد الزراق، كربلاء في التاريخ، ج ٣، ص ١٠٢.

نشاطات عشية الثورة

اتّفق المشاركون في اجتماعات زيارة النصف من شعبان في كربلاء على الاستمرار، كما أشرنا في جهودهم السلميّة مع سلطات الاحتلال البريطانيّ للحصول على استقلال البلاد، وعدم اللجوء إلى الثورة المسلّحة إلّا في حالة تعثّر هذه الجهود وإعاقتها من قبل هذه السلطات. وكان بعض أولئك المشاركين قد قرّر، فيما يبدو، تفعيل المطالبة السلميّة بحقوق البلاد وتنشيطها لكشف مدى جدية تلك السلطات في وعودها العديدة بمنح العراقيّين حريّتهم وحقّهم في الاستقلال. كما يبدو أنّ السيّد كاطع العوّادي، وآخرين من العاملين في حركة التحرّر الوطنيّ، لم يقتصرُوا بعد اجتماعات كربلاء على النشاطات السلميّة المكثّفة لدحض حجج المحتلّ وكشف حقيقة وعوده، بل تحرّكوا، من جانبٍ آخر، في نطاق التهيئة للثورة المسلّحة، وتوفير أسباب قيامها ونجاحها؛ لأنّهم كانوا لا يُعوّلون، كما يظهر، على نجاح الجهود السلميّة في الحصول على حقوق البلاد وأهلها من البريطانيّين المحتلّين. إذ ينقل الشيخ عبود الهميص في مذكراته أنّ اجتماعاً دعا إليه أخوه الأكبر الشيخ شخير الهميص، عُقد بعد اجتماعات النصف من شعبان مباشرة في ديرتهم في الشوملي حضره رؤساء عشائر الفرات، ومنهم السيّد كاطع العوّادي الذي يشيد الشيخ عبود بوطنيّته الصادقة في مواضع عدّة في مذكراته.

وكان الهدف من هذا الاجتماع، أو المؤتمر كما يحلو للشيخ عبود أن يسميه، هو تحديد الوقت الملائم للقيام بالثورة، ويقول: إنّ المؤتمرين "وفي مقدمتهم الشيخ مظهر الحاج صكب، والشيخ شعلان العطية، والشيخ صلال الفاضل الموح، والشيخ مرزوك العوّاد، والسيّد كاطع العوّادي، والشيخ سعدون الرسن، والسيّد هادي مكوטר، والسيّد هادي زوين ... اتّخذوا قراراً بأنّ أفضل وقتٍ لاندلاع الثورة هو نهاية شهر حزيران حيث يكون موعد الحصاد للمزروعات قد انتهى، وهذا ما حصل بالفعل، حيث بدأت الثورة في الرميّة بعد قيام السلطات البريطانيّة بسجن الشيخ شعلان أبو الجون"^١. ومن ثم فإنّ هذه الرواية تؤكّد ما افترضناه من أنّ بعض الذين شاركوا في اجتماعات كربلاء، وفي مقدّمتهم السيّد كاطع العوّادي، كانوا يحضرون لإشعال لهيب ثورة مسلّحة، إلى جانب مساعيهم وجهودهم التفاوضيّة السلميّة مع السلطات المحتلّة للوصول إلى أهدافهم. كما أنّ الرواية في حال التأكّد من صحّة الأحداث التي سردتها تشير^٢ إلى:

١. الهميص، عبود الشيخ، ذكريات وخواطر عن أحداثٍ عراقيةٍ في الماضي القريب، ص ٤٧.

٢. لم يعلنا نتوقّف عند رواية عبود الشيخ هذه وتحديد مدى دقّتها سوى روايةٍ أخرى أوردتها في مذكراته، وانفرد بها فيما يبدو، حيث لم يشر إليها أيّ من المصادر التي بين أيدينا من قريب أو بعيد، يقول فيها: «ومما أذكره أنّ السيّد كاطع العوّادي جاء إلى دارنا في الشوملي في شهر نيسان من عام ١٩٢٠ م، وتحدّث إلينا،

١. أن تفسير الشيخ محمد رضا نجل المرجع الحائري لكلام والده بأنه، كما ذكرنا من قبل، (إفتاء

إلى أخي الشيخ شخير، وإليّ وإلى بقية أفراد العائلة قائلاً: (إنّ النجف بعيدة عن الثورة، فهي لا تزال تنوء تحت ثقل الإجراءات الشديدة التي اتخذها الإنكليز ضدّ أهلها بسبب ثورتهم ضدّ الاحتلال الإنكليزي عام ١٩١٨).

وبناءً على ذلك فهو يرى، ويؤيّد الكثيرون من الرؤساء والشيخ الذين مرّ ذكرهم، ضرورة نقل المرجعية الدينية من مدينة النجف إلى كربلاء؛ لأنّ الأجواء في كربلاء كانت أكثر ملاءمةً واستعداداً من النجف للأسباب المارة الذكر، وطلب مبلغ (٥٠٠٠) خمسة آلاف ليرة ذهب لتوزيعها على بعض علماء الدين وأتباعهم ومريديهم من أجل إصدار الفتاوى الدينية بلزوم الجهاد وحثّهم على السفر إلى كربلاء. وقد دفع كلّ من شخير الهميص، كاطع العوّادي، السيّد نور الياسري، السيّد محسن أبو طيخ، والشيخ عبد الواحد الحاج سكر، مبلغ ألف ليرة ذهب، حملها السيّد كاطع العوّادي إلى النجف للغرض المذكور... وبالفعل تم نقل المرجعية الدينية من النجف إلى كربلاء وتبع ذلك انتقال عدد كبير من علمائها إلى المركز الجديد. ذكريات وخواطر المصدر السابق، ص ٤٥، ٤٦٠. إنّ هذه الرواية تتيح توجيه النقد إليها ومناقشتها في أكثر من جانب، منها:

١. لم تكن النجف (بعيدة عن الثورة)، ولا يمكن أن يجهل هذه الحقيقة أحد مثل السيّد كاطع العوّادي، فقد شهدت أحداثاً وتحركات معروفة أدّت إلى إشعال فتيل ثورة العشرين. وكان دورها رائداً ومؤثراً ومركزياً في هذا الشأن على الرغم ممّا حلّ بها من عقوبات نتيجة لأحداث عام ١٩١٨ التي أدّت إلى مقتل حاكمها البريطانيّ مارشال. وأوّل من يعرف هذه الحقيقة كان السيّد كاطع العوّادي الذي اتخذ من النجف مركزاً لنشاطاته التي سبقت الثورة. وكان السيّد كاطع العوّادي يعرف أيضاً أنّ أجواء النجف كانت آنذاك ملائمةً للنشاطات الوطنية أكثر من كربلاء وليس العكس، وأنّ النجفيين ساعدوا على انتقال الشيخ الحائريّ إلى كربلاء لتنشيط الحركة الوطنية فيها. يذكر السيّد الحسنيّ، عبد الرزاق في كتابه الثورة العراقية أنّ النجفيين عملوا على انتقال الشيخ الحائريّ من سامراء إلى النجف، وبعد أن استجاب ارتأوا أن يكون مقامه في كربلاء لحفظ التوازن في القوى الوطنية؛ لأنّ الحركة الوطنية في كربلاء كانت مشلولة، وأنّ حاجة كربلاء إلى وجوده أعمّ؛ لأنّ في النجف من يزاخمه على المرجعية، وهو السيّد اليزدي (الحسنيّ، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٠٣، ١٦٤).

٢. لم يعرف تاريخ المرجعية الدينية تأثيراً كبيراً لشيوخ العشائر في شؤونها من قبيل نقلها من مدينة إلى أخرى. والمعروف أنّ المرجعية تكون في مدينة تعرف بـدار العلم، وكانت النجف داراً للعلم منذ أن حلّ بها الشيخ الطوسيّ منتصف القرن الخامس الهجري. وقد أصبحت داراً للعلم ومقرّاً للمرجعية كلّ من الحلة وكربلاء. ولكن النجف عادت داراً للعلم ومقرّاً للمرجعية منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري - مطلع القرن التاسع عشر الميلادي وإلى الآن.

٣. لا يعدّ استيطان الشيخ محمد تقي الحائريّ الشيرازي في كربلاء منذ انتقاله إليها من سامراء في ٢٣ شباط ١٩١٨ إلى وفاته في ١٣ آب ١٩٢٠ نقلاً للمرجعية إلى كربلاء على الرغم من إقامته فيها لحوالي سنة وثلاثة أشهر كأكبر مرجع بعد وفاة السيّد اليزدي في ٣٠ نيسان ١٩١٩. ذلك أنّ المرجعية لا تعني وجود المرجع الأكبر فحسب، ولا تنتقل معه حيث يسكن بصورة مؤقتة لسبب من الأسباب. وفي كلّ الأحوال، فإنّ انتقال الحائريّ إلى كربلاء جاء لأسباب غير الأسباب التي ذكرها عبود الشيخ في مذكراته، ونتيجة جهود شخصيات دينية بالدرجة الأولى كالسيّد محمد علي بحر العلوم والشيخ عبد الكريم الجزائريّ والسيّد هبة الدين الشهرستاني والسيّد محمد الصدر والشيخ مهدي الخالصي (انظر: نظمي، وميض جمال عمر، ثورة ١٩٢٠.. الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، ثورة ١٩٢٠، ص ٣٥٣، ٣٧٣، ولم يكن بجهود شيوخ العشائر.

٤. لم يعرف عن علماء الدين، ولا سيما المراجع منهم، أنهم أصدروا فتاوى بالجهاد مقابل أموال. وليس بإمكانهم نقل المرجعية الدينية من مدينة إلى أخرى بالأموال التي يدفعها شيوخ العشائر. فضلاً عن أن عبود الشيخ الهميص لم يذكر

بالثورة على الإنكليز) قد أخذ به كثيرٌ من الذين حضروا اجتماعات كربلاء، ولاسيّما أولئك الذين ضمّهم اجتماع الشوملي.

٢. ويبدو أنّ المجتمعين في الشوملي كانوا مقتنعين بأنّه حتى يحين الموعد الذي حدّده للثورة، فإنّ هناك مدّة تتجاوز الشهر ونصف الشهر للمطالبة السلميّة بالاستقلال. ولكنّه يجب التوقّف عند حقيقة مفادها أنّ توقيت اندلاع الثورة لم يجرّ على أرض الواقع، بإرادة العراقيّين، وكان بالإمكان أن يتأخّر عن مواعده الذي حدّد في الشوملي لو لم يعتقل الشيخ شعلان أبو الجون. بيد أنّه من الصحيح القول في الوقت نفسه إنّ من الممكن أن يبادر العراقيّون لإشعال الثورة بعد الموعد الذي انطلقت فيه في الثلاثين من حزيران بوقت قريبٍ لو لم تنطلق في ذلك الموعد ومن جانب آخر، شهدت الأيام التي سبقت اندلاع الثورة تلاحمًا، أسهم في تعزيزه السيّد كاطع العوّادي بين القوى الوطنيّة على تعدّد اتجاهاتها القوميّة والإسلاميّة في مناطق الفرات العشائريّة ومدن النجف وكربلاء وبغداد والكاظميّة، وتنسيقًا بين هذه القوى فيما يخصّ مطالبها بشأن الاستقلال ولاسيّما بعد الرعاية المباشرة التي أولاها لتلك القوى الشيخ محمّد تقي الحائريّ خلال اجتماعه بممثليها في كربلاء خلال زيارة النصف من شعبان، وما جرى من حوار في ذلك الاجتماع، أعقبه اتّفاقٌ بين الشخصيّات التي حضرت اجتماعات كربلاء على المضىّ قُدّمًا في المطالب السلميّة بحقوق البلاد، واللجوء إلى الثورة المسلّحة عند عدم استجابة سلطات الاحتلال لهذه المطالب توافّقًا مع رؤى الشيخ الحائريّ وآرائه بهذا الشأن.

وفي إطار هذا التلاحم والتنسيق يروي السيّد كاطع العوّادي أنّه اجتمع مع الشيخ الحائريّ في كربلاء، ونقل له أخبار الحركة الوطنيّة في بغداد، إذ يقول: "فأعلمته أنّ في بغداد جماعةً يطالبون بالاستقلال للعراق فأعلمني الميرزا الحائريّ أنّ الجماعة المذكورين هم إخواننا في الغاية، وأمرني بالسفر إليهم والوقوف على رأيهم".^١

وكان لقاء السيّد قاطع بالشيخ الحائريّ قد جرى خلال الأيام التي حفلت فيها بغداد بنشاطات رجال الحركة الوطنيّة المتمثلة في إقامة حفلات المولد النبويّ ومجالس العزاء الحسينيّة في وقتٍ

كيفية جمع تلك الأموال من أولئك الشيوخ الذين ذكر أسماءهم، ولا مكان ولا زمان الجمع

٥. لم تشر المصادر إلى انتقال عدد كبير من مراجع العلماء من النجف إلى كربلاء كما يذكر عبود الشيخ الهيمص، بل لم تشر إلى انتقال أي واحد منهم إلى كربلاء لهذا الغرض أو لغيره آنذاك.

٦. وأخيرًا فإن رواية تصدي السيّد كاطع العوّادي لعمل بعيد عن الصلة بالوقائع وطبائع الأشياء، تفرض التوقف عندها لما عرف عنه من حكمة وواقعية.

١. آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة سنة ١٩٢٠ وتناجها، ص ٥٥٩.

واحد في مساجد الشيعة والسنة بالتناوب، يحضرها هؤلاء وأولئك معاً، لتحشيد الرأي العام، وتعبئة العراقيين للمطالبة بالاستقلال وتهيتهم لمواجهة المحتل بمطالبهم. وقد أقيم أول احتفال بالمولد النبوي في جامع القبلاية ببغداد في آخر ليلة من شهر شعبان سنة ١٣٣٨ هـ التي توافق ١٤ مايس ١٩٢٠ م^١.

تزامن لقاء السيد كاطع العوادي بالشيخ الحائري مع قدوم الشيخ باقر الشبيبي إلى كربلاء موفداً من قبل الحاج (جعفر أبو التمن) إلى الحائري ومعه رسالة منه يخبره فيها بأوضاع بغداد، واستدعاء حاكم بغداد العسكري الكابتن بلفور له ولثلاثة آخرين من رجال الحركة الوطنية. وكان بلفور قد استدعى جعفر أبو التمن وعلي الباركان ومهدي البصير وأحمد الشيخ داود بسبب الأحداث التي شهدتها حفل المولد النبوي والعزاء الحسيني الذي أقيم في جامع الحيدرخانة في ٥ رمضان ١٣٣٨ الموافق ٢٣ مايس ١٩٢٠، والذي أعتقل على أثره موظف الأوقاف عيسى عبد القادر بسبب قصيدة وطنية ألقاها في الحفل، وما تلا ذلك من تظاهرة استشهد خلالها أحد المواطنين نتيجة دهس سيارة عسكرية بريطانية مصفحة له كانت ضمن أربع سيارات أرسلت لإرهاب المتظاهرين.

وأدت تلك التطورات إلى قيام رجال الحركة الوطنية بانتخاب خمسة عشر مندوباً لإبلاغ السلطة المحتلة بمطالبهم ضمن إطار السعي للإطلاق سراح المواطن المعتقل عيسى عبد القادر. كما أدت إلى تظاهرة واسعة صاحبت تشييع جثمان المواطن الشهيد^٢.

أوفد السيد كاطع العوادي من قبل الشيخ الحائري للاتصال بالحركة الوطنية في بغداد، والتنسيق معها للعمل على وفق ما جاء في رسالة الشيخ الحائري إلى عموم العراقيين. وكان معه عند سفره إلى بغداد الشيخ باقر الشبيبي^٣ الذي حملته الشيخ الحائري رسالتين إحداهما كانت تتضمن جوابه على رسالة (جعفر أبو التمن)^٤، والأخرى موجهة إلى العراقيين كافة يحثهم فيها على التظاهر السلمي للمطالبة بحقوقهم في الاستقلال، جاء فيها:

«إلى إخواننا العراقيين.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٠٨.

٢. للتفاصيل: الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٠٨ وما بعدها؛ الورد، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٥، ق ١، ص ١٨٨ وما بعده.

٣. آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ص ٥٥٩.

٤. المصدر السابق، ص ١٤٥.

أمّا بعد، فإنّ إخوانكم في بغداد والكاظميّة والنجف وكربلاء وغيرها من أنحاء العراق، قد اتّفقوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهراتٍ سلميّةٍ. وقد قامت جماعةٌ كبيرةٌ بتلك المظاهرات مع المحافظة على الأمن طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق إنّ شاء الله بحكومةٍ إسلاميّةٍ، وذلك أن يرسل كلّ قطرٍ وناحيةٍ إلى عاصمة العراق (بغداد) وفدًا للمطالبة بحقه، متّفقًا مع الذين سيتوجهون من أنحاء العراق عن قريبٍ إلى بغداد. فالواجب عليكم، بل على جميع المسلمين الاتّفاق مع إخوانكم في هذا المبدأ الشريف. وإيّاكم والإخلال بالأمن والتخالف والتشاجر بعضكم مع بعض، فإنّ ذلك مضرٌّ بمقاصدكم ومضيعٌ لحقوقكم التي صار الآن أوان حصولها بأيديكم، وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم، في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا تنالوا أحدًا منهم بسوءٍ أبدًا. وفّقكم الله جميعًا لما يرضيه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٩-١٠ رمضان ١٣٣٨ الأحرر محمد تقي الحائري الشيرازي^١.

ويروي السيّد كاظم أنّه بعد وصوله إلى بغداد ومعه الشيخ باقر الشيبانيّ يحمل هذا الكتاب، توجّه بصحبة رفيقه ومعهما أخوه جعفر الشيبانيّ إلى تكية الشيخ سعيد، التي كان منعقدًا فيها آنذاك اجتماعٌ لمندوبي بغداد الخمسة عشر الذين سيقابلون (ولسن) نائب الحاكم الملكيّ العام في العراق، فبحث وإيّاهم المطالب التي ستقدّم إلى السلطة المحتلّة، واتفق معهم على أن تكون هذه المطالب متوافقةً مع مطالب بقيّة العراقيّين ولاسيما أبناء العشائر العراقيّة. وكان حضور السيّد كاظم العوّادي ذلك الاجتماع، ومدخلاته مع رجال الحركة الوطنيّة في بغداد، قد تم بصفته ممثلًا للعشائر لدى الشيخ الحائريّ ومبعوثه إلى بغداد^٢.

كما أنّ السيّد كاظم العوّادي حضر عند وجوده في بغداد آنذاك مطلع حزيران ١٩٢٠، اجتماعًا عُقد في الصحن الكاظميّ الشريف دعا إليه جعفر أبو التمن، الذي طلب من وجهاء وقادة المجتمع البغداديّ والكاظميّ أن يحضروه، وذلك للاستماع إلى ما جاء في كتاب الشيخ الحائريّ الموجه إلى عموم العراقيّين. وقد تليّ الكتاب في اجتماعٍ حاشدٍ من قبل السيّد باقر السيّد أحمد، وكان لما جاء فيه من حثٍّ على الوحدة الوطنيّة وعدم التعرّض للأقليات الدينيّة أثرٌ في نفوس أبناء الطائفتين المسيحيّة واليهوديّة في بغداد، وتلاحم العراقيّين وتوحّدهم إزاء قضية استقلال بلادهم^٣.

١. الحسنيّ، عبد الرزاق، الثورة العراقيّة الكبرى، ص ١٦٥ - ١٦٦.

٢. آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ص ٥٦٠.

٣. المصدر السابق، ص ١٤٦.

وقد رأى السيّد كاطع العوّادي في هذا التحشيد للعراقيين في بغداد والكاظمية باتجاه المطالبة بحقوق البلاد واستقلالها عملاً يتوافق مع الغايات التي تسعى إليها الحركة الوطنية العراقية التي تصدّى لقيادتها في ذلك الوقت الشيخ محمد تقي الحائري^١.

وامتدت نشاطات السيّد كاطع العوّادي أثناء وجوده في بغداد آنذاك لتشمل حزب حرس الاستقلال، الذي كان قد انضمّ إليه كما ذكرنا أواسط عام ١٩١٩، فقد زار المدرسة الأهلية التي كانت مؤثلاً لنشاطات الحزب وتحركاته السريّة في ١٢ حزيران ١٩٢٠ كما يذكر علي البازركان^٢، وتبرّع لها بمبلغ خمسين ليرة^٣، والتقى فيها بعدد من الشخصيات العاملة بحركة التحرّر الوطني، وهي، كما يذكر السيّد كاطع في أجوبته على أسئلة فريق المزهر: السيّد عبد المهدي السيّد حسن (المتفكي)، والحاج محمد جعفر أبو التمن، وجعفر الشيببي وعلي البازركان وناجي شوكة وجلال بابان، الذين كانوا كما يقول: «يتذكرون في تنظيم تلك الغاية»^٤، التي يقصد بها العمل للحصول على استقلال البلاد بطرق سلمية أولاً، على وفق ما جاء في رسالة الشيخ الحائري إلى عموم العراقيين، والتي قام حزب حرس الاستقلال بطبع نسخ كثيرة منها، وزّعها في بغداد والكاظمية، وأنحاء مختلفة من العراق^٥.

وقد عاد السيّد كاطع العوّادي إلى كربلاء من بغداد بعد أن أنجز المهمة التي أناطها به الشيخ محمد تقي الحائري، ونسق مع البغداديين العاملين بالحركة الوطنية بشأن وحدة الموقف الوطني تجاه سلطات الاحتلال البريطاني، وتوحيد المطالبة بحقوق البلاد، وفي مقدّمها الاستقلال. وبموجب هذا التنسيق حثّ السيّد كاطع العوّادي الكربلايين على إقامة مجالس العزاء الحسيني لغرض تعبئة الناس وتهيئتهم للمطالبة بحقوقهم على غرار المجالس التي كانت تقام في بغداد للمولد النبوي والعزاء الحسيني معاً، ودفع مبلغ خمسمائة ليرة، أشرف على صرفها الشيخ محمد رضا الحائري في هذا الغرض.

ويرى السيّد كاطع العوّادي في مذكراته أنّ مجالس العزاء هذه كانت السبب في أن يُقدّم المجتمع

١. المصدر السابق، ص ٥٥٩.

٢. الوقائع الحقيقية، ص ١٦٩.

٣. آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ص ٥٦٠.

٤. المصدر السابق.

٥. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٥، ص ١٩٧.

الكربلائي على اختيار عددٍ من الممثلين له لتقديم الطلبات إلى السلطة المحتلّة بهدف الحصول على حقوق العراقيين بالحرية، وحقّ بلادهم بالاستقلال، استجابةً لما جاء في الرسالة التي وجهها الشيخ محمد تقي الحائري لعموم العراقيين، وانسجاماً مع عمل الحركة الوطنية في بغداد التي انتخبت خمسة عشر مندوباً للمقابلة نائب الحاكم الملكي العام وإبلاغه مطالب الحركة الوطنيّة^١. وكان مندوبو كربلاء هم: الشيخ عبد الحسين الحائري (نجل المرجع الشيخ محمد تقي الحائري)، والشيخ محمد الخالصي، والسيّد محمد علي الطباطبائي، والشيخ صدر الدين المازندراني، والسيّد عبد الوهاب، والشيخ محمد حسن أبو المحاسن، والشيخ عمر الحاج علوان^٢. وشملت نشاطات السيّد كاظم العوّادي خلال وجوده في كربلاء أوائل شهر حزيران ١٩٢٠ بعض اللقاءات مع شيوخ العشائر كالشيخ شعلان أبو الجون والشيخ غيث الحرجان، للتباحث معهم في مسيرة الحركة الوطنيّة وسبل تفعيلها في ضوء اجتماعاتهم التي تمّت في كربلاء خلال زيارة النصف من شعبان وتوجيهات المرجع الشيخ محمد تقي الحائري^٣.

في النجف الأشرف

تحول السيّد كاظم العوّادي عشية اندلاع الثورة من كربلاء إلى النجف الأشرف ومارس فيها نشاطاتٍ كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في تفعيل الحركة الوطنيّة، ودعم الأعمال التي كان يقوم بها رجالها من النجفيين وشيوخ العشائر المحيطة بالنجف ولاسيّما عشائر المشخاب والشاميّة. وكانت نشاطات السيّد كاظم العوّادي وأولئك الرجال تدور ضمن إطار الرسالة التي وجهها إلى العراقيين كافة المرجع الأعلى الشيخ محمد تقي الحائري، التي طلب فيها منهم الاحتجاج بمظاهراتٍ سلميّةٍ وانتخاب مندوبين من جميع أنحاء العراق للمطالبة بالحقوق من السلطة المحتلّة. وقد شهدت النجف عدّة اجتماعاتٍ للعاملين بالحركة الوطنيّة من علماء ووجهاء وشيوخ عشائر عقب انتشار رسالة الحائري. وكانت تلك الاجتماعات تعقد في بيوت بعض رجال الحركة الوطنيّة أولئك وفي جامع الهندي القريب من المرقد العلويّ المطهر، حيث تُلقى الخطب والقصائد الوطنيّة الحماسيّة. وكان من أهمّ تلك الاجتماعات اجتماعان، عُقد الأول منهما في دار المرجع الدينيّ الشيخ فتح

١. العوّادي، كاظم، مذكرات السيّد كاظم العوّادي، ص ١٣؛ آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة سنة ١٩٢٠ وتناجها، ص ٥٦٠.

٢. الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقيّة الكبرى، ص ٦٧. ويمكن الاطلاع في الموضوع نفسه على نصّ مضبطة توكيل مندوبي كربلاء.

٣. آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة سنة ١٩٢٠ وتناجها، ص ٥٦٠.

الله شيخ الشريعة الأصفهاني الذي خلف الشيخ الحائري في المرجعية العامة، في ليلة السادس عشر من رمضان ١٣٣٨ الموافق مساء الثاني من حزيران ١٩٢٠. وحضر الاجتماع عددٌ من العلماء الذين تداولوا في أوضاع البلاد واتفقوا على ضرورة المطالبة باستقلالها وإنشاء حكومة عربية من أهل البلاد تجمعهم معها جامعة الدين والقومية، وعلى وجوب عقد التظاهرات الوطنية ليشدّ بها أزر البغداديين ويزيد نشاطهم في أعمالهم، ثم مباشرة الأهليين في انتخاب مندوبين عنهم ليطالبوا بحقوقهم الشرعية^١. وفي الليلة التالية عقد هؤلاء اجتماعاً ثانياً في المكان نفسه لينتخبوا من تتوفر فيه الكفاءة للقيام بمهمة المطالبة بالحقوق، فاختاروا خمسة من بينهم، على رأسهم الشيخ عبد الكريم الجزائري.

بيد أنّ علماء النجف وأشرافها وتجّارها لم يباشروا في تنفيذ ما اتفق عليه في هذين الاجتماعين، ويفعلوا عمل المندوبين إلّا بعد أن هَيَّأُوا أجواء النجف لتقبل فكرة العمل السلمي الداعي إلى الاستقلال، وضمنوا استقرار المدينة واستتباب الأمن فيها خلال انعقاد الاجتماعات المطالبة بحقوق البلاد. وكان الأمر الذي يخشونه هو قيام الأسر التي أعدم أبناؤها وصودرت أموالها سنة ١٩١٨ بالإخلال بالأمن ومهاجمة مراكز السلطة المحتلة ورجالها انتقاماً لأولئك الشهداء من أبنائها مستغلةً مظاهر الاحتجاج والاجتماعات السلمية المنوي عقدها الإجبار المحتل على ترك نواياه بمصادرة حرية البلاد وحقوق أبنائها.

ولضمان عدم إخلال هذه الفئة بالأمن، وللحفاظ على وحدة كلمة النجفيين ومواقفهم، فقد استقرّ الرأي على الاجتماع برؤساء تلك الأسر ودعوتهم إلى الهدوء والسكينة خلال سير العملية السياسية التي وجّه المرجع الأعلى الشيخ الحائري بأن تكون سلمية في تلك الحقبة من خلال رسالته إلى عموم العراقيين. وقد نجحت تلك المساعي مع هؤلاء، وتعهدوا أمام العلماء بأن لا يقوموا بأي عمل يعرقل سير تلك العملية للوصول إلى الهدف المنشود الذي لا يمكن الوصول إليه إلّا بالتعاقد ووحدة الكلمة.

وتوسّعت دائرة اجتماعات النجفيين لتشمل وجهاء النجف وأعيانها وتجّارها، وشيوخ عشائر المناطق المحيطة بها وساداتها وأعيان مدنها كالشامية. واقتضى ذلك عقد اجتماعات عدّة تضم هؤلاء جميعاً، منها اجتماعٌ عُقد في دار السيّد نور الياسري في النجف، عرض فيه ما مورد في رسالة الشيخ الحائري من وجوب المطالبة باستقلال العراق، وتليت فيه مطالب مندوبي بغداد، وجرى

١. الجبوري، سلمان كامل، النجف الأشرف والثورة العراقية، ص ٥٣.

خلاله الحديث بشأن ترشيح مندوبين عن النجف والشامية. وبعد عدّة جلسات اختاروا خمسةً ليمثّلوهم أمام حكومة الاحتلال، ويدافعوا عن حقوق الأُمّة واستقلال البلاد دون أيّ تدخلٍ أجنبيٍّ^١ «في ظلّ دولةٍ عربيّةٍ وطنيّةٍ يرأسها ملكٌ عربيٌّ مسلمٌ مقيّدٌ بمجلسٍ تشريعيٍّ وطنيٍّ»^٢. وهؤلاء هم: الشيخ جواد الجواهريّ، والشيخ عبد الكريم الجزائريّ، والشيخ عبد الرضا آل الشيخ راضي، والسيّد نور آل السيّد عزيز، والسيّد علوان آل السيّد عباس، والحاج عبد المحسن شلاش. وأُرخّت المضبطة في ١٨ رمضان ١٣٣٨، الموافق ٥ حزيران ١٩٢٠.

كانت هذه أجواء النجف عندما حلّ بها السيّد كاطع العوّادي أوائل حزيران ١٩٢٠، فأسهّم مساهمةً فاعلةً في تصعيد وتيرة المقاومة السلميّة للاحتلال بين أوساط النجفيّين والمناداة باستقلال العراق وإقامة حكمٍ وطنيٍّ دستوريٍّ فيه.

وكان أهمّ عمل قام به هناك هو الاجتماع الحاشد الذي عُقد بمساعيه وجهوده وإنفاقه في جامع الهندي في ٢٤ رمضان ١٣٣٨، الموافق ١١ حزيران ١٩٢٠، الذي اتّخذ من قراءة (التعزية) الحسينيّة عنواناً له لتجنّب مضايقات حكومة الاحتلال. وفي واقع الحال فإنّ السيّد كاطع كان ينوي إقامة اجتماعات عديدة في النجف على غرار مجالس الموالد والعزاء المشتركة في بغداد، بيد أنّ نواياه أبطت بعد إقامة أوّل اجتماع في جامع الهندي حيث طلب منه أن يتوقّف عن عقد هذه الاجتماعات، التي كانت تعقد تحت عنوان مجالس التعزية؛ لأنّ سلطة الاحتلال غير مرتاحة لها بعد الحماس الذي أحدثه اجتماع جامع الهندي في أوساط النجفيّين. ولكن نشاط السيّد كاطع لم يتوقّف بمنعه عن إقامة مجالس العزاء الحسيني في جامع الهندي، حيث دعا إلى عقد اجتماع في دار الشيخ علي كاشف الغطاء. وعُقد هذا الاجتماع الذي حضره حشدٌ من النجفيّين، وأُلقيت فيه خطبٌ وطنيّةٌ عدّة دعت إلى المطالبة بحقوق البلاد^٣. وعلى أيّ حال، فإنّ (تعزية) جامع الهندي أُقيمت بمبادرة من السيّد كاطع العوّادي، وعلى نفقته الخاصّة^٤، وبالاتّفاق مع قطبي الحركة الوطنيّة الشيخ عبد الكريم الجزائريّ والسيّد علوان الياسريّ الذين طلبوا، ومعهم صاحب المبادرة من السيّد محمد باقر الحليّ أن ينظم قصيدةً خاصّةً بهذه المناسبة. واختير الشيخ محمد علي قسّام

١. المصدر السابق، ص ٥٣-٥٤.

٢. يُنظر نصّ المضبطة وأسماء الموقعين عليها في: الياسري، عبد الشهيد، السيّد البطولة في ثورة العشرين، ص ١٤٤.

٣. العوّادي، كاطع، مذكرات السيّد كاطع العوّادي، ص ١٣.

٤. يذكر السيّد كاطع أن (التعزية) هذه كلفته مائتي ليرة، العوّادي، كاطع، مذكرات السيّد كاطع العوّادي، ص ١٣.

ليكون قارئ (التعزية) في هذا الاجتماع^١. وقد وقف السيد كاطع بباب الجامع يحيي القادمين ويستحث عزائهم ومشاعرهم الوطنية. وكان عدد الحاضرين يناهز السبعة آلاف من مختلف فئات المجتمع، من عامة الناس ومن العلماء والوجهاء وشيوخ العشائر والتجار^٢، الذين ازدحمت بهم ساحة الجامع وأروقه على سعتها. وعندما اعتلى السيد محمد باقر الحلي المنبر لقراءة المقدمة لمجلس العزاء الذي سيكون خطيبه الشيخ محمد علي قسام، وعادةً ما تكون هذه المقدمة قصيدة في رثاء سيد الشهداء الحسين عليه السلام، ألقى الحلي قصيدة وطنية من نظمه، فكانت تظاهرة عظيمة خطب فيها السيد محمد باقر الحلي وتلا قصيدة له وصفق الحاضرون وهتفوا بسقوط الاحتلال^٣. وقد نادت الكلمات التي ألقيت في ذلك الاحتفال الكبير «بملوكية أحد أنجال الشريف الحسين بن علي ملكاً على العراق»^٤. ومن ثمّ يمكن القول إنّ الاجتماع الذي جرى في جامع الهندي على نفقة السيد كاطع وبجهوده وإنفاقه وتديره، كان يتميز بأمرٍ منها:

الأول: اشتراك عامة الناس في النجف للمرة الأولى في اجتماع عام يتناول قضية البلاد الأساسية، ويدعو إلى استقلالها وتحديد مصيرها من قبل شعبها، بعد أن كانت مثل هذه الاجتماعات تقتصر على الخاصة من العلماء والوجهاء وشيوخ العشائر.

الثاني: تطوّر الدعوة بالمطالبة بحاكم للعراق، فبعد أن كانت مضبطة مندوبي النجف تطالب بملك عربي مسلم للبلاد طالب المجتمعون في جامع الهندي بأن يكون ملك البلاد أحد أنجال الشريف حسين بن علي شريف مكة. بل حدّد السيد محمد باقر الحلي في قصيدته الأمير عبد الله من بين أولئك الأنجال.

الثالث: نال الاجتماع أهمية كبيرة في بلوغ الغاية المتوخاة في رسالة الشيخ الحائري لعموم العراقيين، ومقررات قادة الحركة الوطنية في اجتماعات النصف من شعبان في كربلاء، وهي الحصول على حقوق البلاد وفي مقدمتها الاستقلال عن طريق المطالبات السلمية أو اللجوء إلى الثورة المسلحة عند عدم استجابة المحتلين فقد عد السيد كاطع العوادي هذا الاجتماع «حجر أساس الثورة العراقية»^٥.

١. الوردی، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٥، ق ١، ص ٢٠٤.

٢. كمال الدين، محمد علي، مذكرات السيد محمد علي كمال الدين، ص ٤٥.

٣. العوادي، كاطع، مذكرات السيد كاطع العوادي، ص ١٣.

٤. آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ص ٥٦٠.

٥. المصدر السابق، والصفحة نفسها.

وعقب اجتماع جامع الهندي، امتدّ نشاط السيّد كاطع العوّادي - وهو بعد في النجف لم يبارحها - إلى الحِلّة ذلك أنّ هذه المدينة لم تكن قد جارت بعد التحركات التي كانت تشهدها آنذاك مدن بغداد والنجف وكربلاء على صعيد الاحتجاجات والتظاهرات والاجتماعات التي كانت تطالب باستقلال البلاد وتأسيس حكومة دستوريّة فيها، على رأسها حاكمٌ عربيٌّ مسلم. وكان السيّد كاطع العوّادي قد بذل جهوداً قبل قدومه إلى النجف لتفعيل نشاط الحركة الوطنيّة في الحِلّة، حيث أخذ رسالتين من الشيخ الحائريّ إلى شخصيتين من شخصيّات الحِلّة هما: السيّد علاء القزوينيّ وعبد السلام الخطيب تحثّهما على ضرورة العمل من أجل قيام الحِلّة بانتخاب مندوبين عن أهاليها لمطالبة سلطات الاحتلال بحقوق البلاد وتحقيق غايات أهله في الحرّية والاستقلال. بيد أنّ هذا التحرك لم يثمر شيئاً لعدم تمكّن هاتين الشخصيتين من إنجاز هذا العمل^١.

وعاود السيّد كاطع العوّادي عمله من النجف - بعد انتهائه من العمل الذي قام به في جامع الهندي - لتحريك الموقف ثانيةً في مدينة الحِلّة، فدفع لشخصٍ استأجره من النجف، باقتراح من السيّد محمد علي كمال الدين، مبلغاً من المال ليقوم بلبق إعلانات على جدران الشوارع في الحِلّة بأمضاءاتٍ وهميّة. وقام السيّد محمد علي كمال الدين وجماعةٌ من أصدقائه بكتابة هذه الإعلانات التي تحثّ الحليّين على التحرك والاقتراء بأهالي بغداد والنجف وكربلاء. وتضمنت بعض هذه الإعلانات تهديداً إلى المتعاونين مع السلطة المحتلّة، وبعضها الآخر دعوة إلى أهالي الحِلّة للاجتماع في الجامع الكبير للمدينة^٢، وكان ذلك في اليوم الأخير من رمضان ١٣٣٨ هـ.^٣

ويبدو أنّ هذه الإعلانات حقّقت الهدف المرجو منها في إثارة الرأي العام في الحِلّة، وحثّه على التحرك للطلب باستقلال العراق؛ ففي اليوم الثاني من عيد الفطر، الذي وافق يوم ١٩ حزيران ١٩٢٠، نادى المنادي في شوارع الحِلّة بالدعوة لحضور اجتماع العامة الناس يعقد في الجامع الكبير لسماع رسالة الشيخ الحائريّ إلى العراقيّين^٤. وعُقد الاجتماع في مساء ذلك اليوم، وحضره حشدٌ كبيرٌ من أبناء الحِلّة، وألقيت في الاجتماع خطبٌ من قبل بعض رجال الحركة الوطنيّة أثارت حماس الناس. وقُرئ على الحاضرين كتاب الشيخ الحائريّ الذي كان قد وجّهه إلى العراقيّين كافة

١. العوّادي، كاطع، مذكرات السيّد كاطع العوّادي، ص ١٤.

٢. المصدر السابق، والصفحة نفسها.

٣. الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٥، ق ١، ص ٢٢٢.

٤. المصدر السابق، والصفحة نفسها.

للمطالبة بحقوقهم واختيار مندوبين عنهم لتحقيق هذا الغرض. ونودي في الاجتماع بالأمير عبد الله بن الحسين ملكاً على العراق. واختار المجتمعون ستة مندوبين ليمثلوا الحلة لدى السلطات المحتلة. وقد ارتاع نائب الحاكم السياسي في الحلة لما جرى، وبعث مساعده خيرى الهنداوي إلى الجامع ليهدي المجتمعين، ولكنه قام بدلاً من ذلك بإلقاء خطاب ألهب فيه المشاعر الوطنية وحماس الناس، فقام نائب الحاكم باعتقاله مع المندوبين الذين تم اختيارهم وسفروا بالقطار إلى البصرة، ثم أبعدها إلى جزيرة هنجام^١.

في كربلاء المقدسة

وفي الوقت الذي كانت تشهد فيه الحلة هذه الأحداث التي كان السيد كاطع العوادي عاملاً مهماً وأساسياً ساعد على تأجيجها، فإن كربلاء شهدت في الوقت نفسه تحركات جديدة كان لولبها السيد كاطع أيضاً. ففي عيد الفطر سنة ١٣٣٨ هـ، الذي عُقد في اليوم الثاني منه اجتماع الجامع الكبير في الحلة، وصل السيد كاطع العوادي إلى كربلاء. والتقى بالسيد هادي زوين الذي كان موجوداً فيها آنذاك، وتباحث معه في أوضاع البلاد والتحركات السياسية التي تجري فيها للمطالبة بالاستقلال. والتي تفاقت بما يشكل خطراً على رجال الحركة الوطنية في حال التراجع عنها وعدم مواصلة؛ لأن المحتلين بدأوا ينشطون لمكافحتها. واقترح السيد كاطع العوادي قيام بعض أولئك الرجال الموجودين في كربلاء آنذاك بتفعيل دور الشيخ الحائري في مواجهة سلطات الاحتلال وإضعافها، وذلك من خلال أمر يصدره يقضي بعدم دفع (الأموال الأميرية) - أي ضرائب الأراضي الزراعية - إلى الحكومة المحتلة. ونجح، ومعه السيد هادي زوين، في عقد اجتماع ضم - فضلاً عنهما - السيد نور الياسري، والسيد محسن أبو طيخ، والسيد محمد رضا الصافي، والشيخ مهدي الخالصي، والشيخ أحمد الملا كاظم. واتفقوا على ترتيب لقاء بالشيخ الحائري لعرض مقترح مقاطعة حكومة الاحتلال وعدم دفع ضرائب الأراضي الزراعية لها. ولكن الشيخ الحائري لم يوافق على هذا المقترح بعد عرضه عليه خلال اجتماعهم به لهذا الغرض. وفي اليوم الثاني اجتمع هؤلاء الرهط في دار الشيخ أحمد الملا كاظم «وقرروا أن يقنعوا الشيخ بأن يكتب كتاباً إلى العشائر بأنهم يجب عليهم أن يتعاضدوا ويدافعوا بعضهم عن بعض حسب إمكانهم فيما إذا أراد الإنكليز بهم سوءاً»^٢، على أن يذيل الكتاب بحديث: «من يسمع نداء أخيه المسلم ولم يجبه فليس بمسلم». بيد

١. الحسيني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص ١٧٦-١٧٧. العوادي، كاطع، مذكرات السيد كاطع العوادي، ص ١٥-١٤.

٢. العوادي، كاطع، مذكرات السيد كاطع العوادي، ص ١٥-١٤.

أنّ الشيخ الحائريّ لم يوافق إلّا على كتابة الحديث مع دياجّة مختصرة فحسب. فاستثمر السيّد كاطع هذه الفرصة وجنّد عدداً من الكتاب لكتابة رسائل بالصيغة التي وافق عليها الشيخ الحائريّ، وبصيغ أخرى أوسع منها تلائم ما كان يرغب السيّد كاطع وجماعته بكتابته. ثم أمضيت جميع الكتب بختم الشيخ الحائريّ. وحمل السيّد كاطع العوّادي هذه الكتب ليطوف بها على العشائر، وكانت الهنديّة عشائرها محطته الأولى. فشرع بعد وصوله إليها بالعمل على عقد اجتماع لأهالي مدينة الهنديّة ليقوموا خلاله بانتخاب مندوبين ليمثّلونهم لدى حكومة الاحتلال للمطالبة باستقلال البلاد، على غرار ما جرى في بغداد والنجف وكربلاء والحلّة. بيد أنّ تصدّي حكومة الاحتلال لتلك المطالبات السلميّة واعتقالها للشيخ محمد رضا الحائريّ وجماعة من أهالي كربلاء حال دون تحقيق ذلك^١.

فتوى التوسّل بالقوة الدفاعيّة

أفصحت عمليّة اعتقال مندوبي الحلّة في التاسع عشر من حزيران ١٩٢٠ ونفيهم إلى جزيرة هنجام عن تعسّف واضح لسلطات الاحتلال البريطانيّ في التعامل مع التطلّعات المشروعة للعراقيين نحو حريّتهم واستقلال بلادهم.

وفي واقع الأمر فإنّ هذه الاعتقالات واعتقالات كربلاء التي تلتها، جاءت بعد قيام الحكومة البريطانيّة برسم السياسة النهائيّة التي ستتبعها في العراق على وفق مقرّرات عصبة الأمم. تلك السياسة التي لم تكن تتواءم مع النشاطات والتجمعات الجماهيريّة التي كانت تقوم بها الحركة الوطنيّة العراقيّة آنذاك لانتخاب مندوبين عن المدن للمطالبة بالحقوق المشروعة للبلاد، وفي مقدّمها الاستقلال التام الذي لا تشوبه شائبة التخلّ الأجنبيّ وتشكيل حكومة دستوريّة على رأسها حاكمٌ عربيّ مسلمٌ فقد كانت سياسة الحكومة البريطانيّة تقضي، كما جاء في البيان الذي وضع في ١٧ حزيران ١٩٢٠، ونشرته جريدة العراق في ٢١ حزيران ١٩٢٠، بأن يمنح العراق استقلالاً (مؤجّلاً) لم يحدّد مواعده. وإلى أن يحين ذلك الموعد غير المعروف، فإنّ العراق سيكون تحت (وكالة) بريطانيّا، أي تحت وصايتها أو إندابها. وستعمل بريطانيّا خلال ذلك على (تمهيد مسالك الرقي) للعراق حتى تتمكّن حكومته من إدارة البلاد بنفسها دون الحاجة إلى معونة بريطانيّا، فيمنح عند ذاك الاستقلال وتنتهي وصاية بريطانيّا عليه^٢.

١. المصدر السابق، والصفحة نفسها.

٢. للتفاصيل انظر: نصّ البيان في مجموعة البيانات والإعلانات الصادرة من القائد العام للقوات البريطانيّة في العراق، ص ٣٤٤-٣٤٥.

ومن ثمّ فقد أقدمت سلطات الاحتلال البريطانيّ على إعاقه نشاطات الحركة الوطنيّة التي كانت تطالب بالاستقلال التام للبلاد . فاعتقلت مندوبي الحِلّة، كما أسلفنا، وامتنعت عن مقابلة وفد مندوبي النجف والشاميّة الذي كان مقرّرًا له أن يقابل الميجر (نوربري) حاكم لواء الشاميّة والنجف السياسيّ في ١٣ حزيران ١٩٢٠ . وقد بعث (ولسن) نائب الحاكم الملكيّ العام في العراق برسالة إلى مندوبي النجف يعتذر فيها عن امتناع الميجر نوربري عن مقابلتهم، ويبرر ذلك بوجود تقرير وضعه بأمر من الحكومة البريطانيّة رسم السياسة النهائيّة لهذه الحكومة في العراق، بما يعني انتفاء الحاجة إلى مقابلتهم والبحث معهم في شأن مستقبل البلاد. وذكر لهم بأنّ التقرير سينشر في ٢٠ أو ٢١ حزيران ١٩٢٠، وبعث لهم بنسخة منه. وهو التقرير الذي أشرنا إلى قيام السلطة المحتلّة بنشره في جريدة العراق في ٢١ حزيران ١٩٢٠، وأوضحنا تقاطع ما جاء فيه مع أمني و رغبات العراقيين بالاستقلال التام غير المشروط.

ويبدو أنّ امتناع الميجر نوربري عن مقابلة الوفد النجفيّ بأمر من نائب الحاكم الملكيّ العام في بغداد، كان له وقع سيّئ في أوساط الحركة الوطنيّة العراقيّة ولاسيّما بعد أن شاع خبره بين الناس في المدن العراقيّة. وقد دعا ذلك إلى أن تبادر الحركة الوطنيّة للردّ على السلطة المحتلّة ردّاً حاسماً يوقفها عن تماديها بالاستهانة بمصير العراق وشعبه. فقام الشيخ محمد رضا الحائريّ بالدعوة إلى إقامة تظاهرات احتجاجيّة في كربلاء في صحن الحسين والعباس ؟عهما؟. وتألّفت لجنة لتنظيم التظاهرات التي انطلقت في ٢١ حزيران ١٩٢٠، وألقيت خلالها قصائد وطنيّة، وخطب فيها عدد من العاملين في الحركة الوطنيّة خطباً ألهمت مشاعر الناس وزادت من حماسهم.

وقد أساء ذلك حكومة الاحتلال في بغداد، فأمرت الميجر (بولي) حاكم الحِلّة السياسيّ بالتوجّه مع قوة عسكريّة إلى كربلاء للقبض على منظمّي التظاهرات ووصلت هذه القوة إلى كربلاء مساء اليوم الذي انطلقت فيه المظاهرات. واستدعى الميجر بولي في اليوم الثاني (٢٢) حزيران اثني عشر شخصاً من العاملين في الحركة الوطنيّة في كربلاء، على رأسهم الشيخ محمد رضا نجل الإمام الشيخ محمد تقي الحائريّ، واعتقلهم وسفرهم. إلى الحِلّة، وتمّ نفيهم إلى جزيرة هنجام في الخليج العربيّ.

وقد حملت تلك الأعمال التعسفيّة لحكومة الاحتلال، والاعتقالات التي قامت بها لرجال الحركة الوطنيّة، وتذكرها لمطالبهم باستقلال العراق ومنح الحرية للعراقيين، الشيخ محمد تقي الحائريّ على تغيير موقفه السابق بوجوب اتباع الطرق السلميّة عند المطالبة بالحقوق. فأفتى،

فور استفتائه باللجوء إلى القوّة في التعامل مع المحتلّين، بجواز اللجوء إليها عند عدم نجاح المساعي السلميّة، حيث جاء في فتواه: (مطالبة الحقوق واجبةٌ على العراقيّين، ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسّل بالقوّة الدفاعيّة إذا امتنع الإنكليز من قبول مطالبهم)^١.

إنّ السيّد كاطع العوّادي، عند اعتقال الشيخ محمد رضا الحائري وجماعته يوم ٢٢ حزيران ١٩٢٠، يزعم التوجّه إلى كربلاء من الهنديّة التي كان قصدها حاملاً رسائل الشيخ محمد تقي الحائري، كما ذكرنا، التي وجهها للعشائر العراقيّة أمراً بإيّاها بالتعاقد، وأن يدافع بعضها عن البعض الآخر إذا أرادت سلطة الاحتلال بها سوءاً. وكان السيّد كاطع يروم من وراء القيام بهذه الأعمال تحريض العشائر على الثورة. وينقل فريق المزهر آل فرعون أنّ سلطات الاحتلال كانت تريد آنذاك اعتقال السيّد كاطع العوّادي أيضاً أثناء عمليّات الاعتقال والنفي التي مارستها في الحِلّة وكربلاء. فقد سألت عنه تلك السلطات في الحِلّة، فأخبرت بأنّه قد ذهب إلى كربلاء^٢ وفشلت محاولتها في اعتقاله.

وحينما بلغ السيّد كاطع، وهو في الهنديّة، خبر القوة البريطانيّة التي وصلت إلى كربلاء من الحِلّة بقيادة الميجر بولي، ترك الهنديّة إلى ضواحيها، وأرسل إلى الحِلّة وكربلاء يستفسر عن حقيقة الأمر. فوصلته رسالة من الشيخ عبد الحسين نجل المرجع الشيخ محمد تقي الحائري، يخبره فيها باعتقال أخيه الشيخ محمد رضا وجماعة من أهالي كربلاء ونفيهم. وأنّ والده يقول له: «إنّ هذا اليوم يومه المطلوب منه النجدة للحق»^٣. ويقول السيّد كاطع إنّ هذه الرسالة كانت معنونة باسمه واسم الشيخ سماوي الجلوب رئيس آل فتلة في الهنديّة^٤.

ويذكر السيّد كاطع في مذكراته، أنّه اتّخذ من رسالة الشيخ عبد الحسين الحائريّ دليلاً آخر على وجوب الثورة قدّمه للعشائر العراقيّة التي طاف عليها منذ يوم ٢٣ حزيران ١٩٢٠. وكان في مقدّمها عشائره وأهله في المدحتيّة، وفي مقاطعة الظلميّة العائدة له. ثم عرض تلك الرسالة،

١. الحسيني، عبد الرزاق، الثورة العراقيّة الكبرى، ص ١٧٩. للتفاصيل يُراجع المصدر نفسه: ١٧٣ وما بعدها.

٢. آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة سنة ١٩٢٠ وتناجها، ص ٢٥٥.

٣. المصدر السابق، ص ٥٦١.

٤. المصدر السابق، والصفحة نفسها. ويذكر الحسيني في كتابه الثورة العراقيّة الكبرى: ص ١٩١ أنّ هناك رسالتين بهذا المعنى أرسلهما الشيخ عبد الحسين الحائري، واحدة للسيّد كاطع العوّادي، وأخرى للشيخ السماوي.

ورسائل التعاضد السابقة فيما يبدو، على عشائر الحلة كالجبور وآبو سلطان، وشيوخها كشخير الهيمص وقوجان العزيز ودوهان الحسن وعلوان العبود ليكونوا، كما يقول، على علم بتطورات القضية، وليحذروا من حكومة الاحتلال. ثم أرسل السيد كاطع رسالة الشيخ عبد الحسين الحائري إلى السيد نور الياسري والشيخ عبادي الحسين فأرسلوها بدورهم إلى الشيخ عبد الواحد آل سكر والسيد علوان الياسري والسيد محسن أبو طبيخ، وقام هؤلاء بإرسالها مع الشيخ رحوم الظالمي والسيد علي السيد عزيز إلى الشيخ غيث الحرجان والشيخ شعلان أبو الجون من شيوخ الطوالم. يرى السيد كاطع العوادي بأن «هذه الكتب أكبر سند على مشروعية الثورة ووجوب الدفاع فيها»^١. ولعلها بمجموعها رسائل - التعاضد ورسالة الشيخ عبد الحسين الحائري للسيد كاطع - كانت السبب المباشر لإشعال فتيل الثورة، ذلك أن الرسالة التي تنقلت لتصل إلى شعلان أبو الجون وغيث الحرجان، قد وصلتتهما عند استدعاء حاكم الرميثة لهما^٢. ويبدو أنهما دفعتهما باتجاه إطلاق الرصاصة الأولى للثورة العراقية ضد الاحتلال البريطاني في ٢٠ حزيران ١٩٢٠.

١. العوادي، كاطع، مذكرات السيد كاطع العوادي، ص ١٦.

٢. آل فرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها، ص ٥٦١.

قائمة المصادر والمراجع

١. الأسديّ، حسن، ثورة النجف على الإنكليز أو الشرارة الأولى للثورة العشرين، دار الحرّيّة للطباعة، العراق - بغداد، ١٩٧٥.
٢. آل بازركان، علي، الوقائع الحقيقيّة في الثورة العراقيّة، مطبعة الأديب البغداديّة، العراق - بغداد، ١٩٩١.
٣. آل فرعون، فريق المزهري، الحقائق الناصعة في الثورة العراقيّة سنة ١٩٢٠ ونتائجها، مطبعة النجاح، العراق - بغداد، ١٩٥٢.
٤. الجبوريّ، كامل سلمان، النجف الأشرف والثورة العراقيّة الكبرى ١٩٢٠، دار القارئ، لبنان - بيروت، ٢٠٠٥.
٥. جمعة، خالد حسن، الوحدة العربيّة في مناهج ومواقف الأحزاب العربيّة ١٩٢١-١٩٥٨، رسالة دكتوراه مقدّمة إلى معهد الدراسات القوميّة والاشتراكيّة، الجامعة المستنصريّة، العراق - بغداد، ١٩٩١.
٦. الحسنّي، عبد الرزاق، الثورة العراقيّة الكبرى، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، العراق - بغداد، ١٩٩٢.
٧. الشيخ، عبود، ذكريات وخواطر عن أحداثٍ عراقيّةٍ في الماضي القريب، مطبعة الراية، العراق - بغداد، ١٩٩١.
٨. العوّادي، كاطع، مذكرات السيّد كاطع العوّادي، أحد رجال الثورة العراقيّة ١٩٢٠، مطبعة العاني، العراق - بغداد، ١٩٨٧.
٩. فراتي، علي، على هامش الثورة العراقيّة الكبرى، مطبعة شركة النشر والطباعة العراقيّة، العراق - بغداد، ١٩٥٢.
١٠. كمال الدين، محمد علي، النجف في ربع قرنٍ منذ سنة ١٩٠٨، دار القارئ، لبنان - بيروت، ٢٠٠٥.
١١. كمال الدين، محمد علي، مذكرات السيّد محمد علي كمال الدين من رجال الثورة العراقيّة ١٩٢٠، مطبعة العاني، العراق - بغداد، ١٩٨٦.
١٢. مجموعة البيانات والإعلانات الصادرة من القائد العام للقوات البريطانيّة في العراق، من ١١ آذار ١٩١٧ إلى ٣٠ أيلول ١٩٢٠، مطبعة دنكور الحديثة، العراق - بغداد، ١٩٣٦.
١٣. نظمي، وميض جمال عمر، ثورة ١٩٢٠: الجذور السياسيّة والفكريّة والاجتماعيّة للحركة القوميّة العربيّة (الاستقلاليّة) في العراق، مركز دراسات الوحدة العربيّة، العراق - بغداد، ١٩٥٨.
١٤. الوردي، علي، لمحات اجتماعيّة من تاريخ العراق الحديث، ج ٥، ق ١، مكتبة الصدر، إيران - قم، ٢٠٠٤.
١٥. الوهاب، عبد الرزاق، كربلاء في التاريخ، ج ٣، مطبعة الشعب، العراق - بغداد، ١٩٣٥.
١٦. الياسريّ، عبد الشهيد، البطولة في ثورة العشرين، مطبعة النعمان، العراق - النجف، ١٩٦٦.